حسن عبدالوارث

رسائل من زمن آتٍ

كتاب المدار الثالث عشر

سبتمبر ٢٠٢٦

المدار
اسبوعية. سياسية. عامة
| ٢٠١٩-٢٠١٩

جميع الحقوق محفوظة لـ «النداء» - ٢٠٢٦

اسم الكتاب: «حسن عبدالوارث.. رسائل من زمن آتٍ»
اسم الكاتب: حسن عبدالوارث

الناشر: صحيفة «النداء»

إعداد وإخراج:
طارق السامعي

معلومات الاتصال:
موقعنا على الإنترنت: www.alndaa.net
البريد الإلكتروني: info@alndaa.net

النشر الإلكتروني:
رياض الأحمدي

تدقيق لغوي:
فائز عبده

الطبعة الأولى (سبتمبر ٢٠٢٦)
رقم الإيداع في دار الكتب اليمنية ( )

منصور هائل

حسن عبدالوارث
كتابة النار الضحوكة

لماذا تكتب في "النداء" يا حسن؟

... كان بميسوره أن يكتب وينشر في أية صحيفة محلية أو خليجية تدفع بسخاء، ليس بفضل مكانته وموقعه كرئيس

لتحرير صحيفة "الوحدة"، أو بالاتكاء على رصيده الثوري كمدير لتحرير صحيفة "الثوري"، وإنما بفعل فرادته وتميزه وبراعته في نحت الكلمة وصقلها وإطلاقها كسهم ضوئي كاشف للزوايا المعتمة، وخارق للممرات الطرشاء، والأماكن العمياء، وجدران الصمت.

وقد أجاب على سؤال الاستهلال بمناسبة الاحتفاء بصدور العدد (100) من النسخة الورقية لـ"النداء"، مشيرًا إلى أن "النداء" صحيفة تحترم الحقيقة، وتجل الأصول العليا لمهنة الصحافة. وكتب:

... "هي الصحيفة التي لا تصلي وراء مسيلمة، ولا تأكل بثدييها ولا فخذيها، ولا تأكل باليسرى ما تستحي أن تدري به اليمنى، ولا توظف القلم لحقارات النفس الأمارة بالسوء، ولا تبتز ولا تهتز، ولا تعتز بالإثم.. لا تسقط في سوق متاع الكلام أو تسطيح الأفكار أو تشويه الرؤى.

وهي.. وهي صحيفة عابرة للقارات والحضارات والأحزاب، والحكومات والطوائف والمذاهب والأحقاد، والأمراض و... صحيفة تعرف إلهًا واحدًا ووطنًا واحدًا".

وقال: "أشهد أن "النداء" النموذج لهذه الصحيفة التي أصف، والتي أعرف وأحب أن يكون لي اسم فيها ورسم عليها ولجوء إليها في ليالي

الخريف كما في صباحات الربيع".

وبالنظر إلى الصعوبات والتحديات التي اكتنفت مسار الصحيفة، خاطب زميله وصديقه رئيس تحرير "النداء": "ففي مجتمع كهذا أن تصدر صحيفة فقيرة من سلطة وجاه ومال، يعني أن تنطح رأسك بصخرة سيزيف... وأن تستمر في إصدارها يعني أن تحمل الصخرة على ظهرك صعودًا في جبل الأولمب".

ولما كان الصديق والزميل حسن عبدالوارث، الذي رحل عنا قبل عامين (25 سبتمبر)، يتابع بانتظام ومثابرة وإمعان كل الصحف اليومية والأسبوعية، وما يصدر عن المراكز المحلية والدولية المعنية بتقدير وتقويم حالة الصحافة اليمنية، فقد استوقفه ذات يوم من عام 2006 فوز صحيفة "النداء" المستقلة بالمرتبة الأولى من بين الصحف الأكثر استقلالاً في تغطيتها للانتخابات الرئاسية والمحلية، وفقًا لتقرير التقييم الذي أعده مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، بالتعاون مع المنظمة الدنماركية IMS... وكتب: "لم يكن ذلك مستغربًا على صحيفة جعلت الجميع يتفائلون بإمكانية وجود صحافة أهلية تشتغل بحرفية وتقدس الحقيقة وتحترم الجمهور بلا حدود، كما أنها الصحيفة الوحيدة التي أوجدت

رسائل من زمن آتٍ

لنفسها والعاملين فيها ميثاق شرف يعمل الجميع وفقه".

في رسالة التحية هذه أعرب حسن عن عتبه وأسفه على القطاع الخاص الذي لا يشجع ظهور مثل هذا النوع من الصحف ولا يكترث بالإعلان فيها، في حين يرصع الصحف المبتذلة التي تمارس الدجل والابتزاز بالإعلانات.

وها هي "النداء" اليوم ترد لحسن التحية بإصدار هذا الكتاب، كتابه، الذي يشتمل على ما كتب فيها من موضوعات قصيرة، مكثفة، متنوعة، يتمازج فيها الإنساني بالتأملي، الانطباعي بالفكري، العابر بالبعيد، الشهادة بالنقد، الحس التراجيدي الرفيع بالسخرية اللاذعة... إنه حسن الكثير، المتعدد شديد المتانة والتركيز والتكثيف، كاتب العمود ونصف العمود بخصائص إبداعية طازجة.

حسن الشاعر، الكاتب الساخر، النقابي المدافع عن الحريات الصحفية وعن زملائه على اختلاف توجهاتهم، فهو لم يكن صحفيًا يكتفي بالتقاط ما يراه، ولا شاعرًا يترك القصيدة معلقة في فضاء اللغة، بل كان في جوهر تجربته واحدًا من أولئك الذين وجدوا في الكتابة موقفًا من الحياة، وفي الصحافة مساحة للدفاع عن الإنسان، وفي الكلمة وسيلة للاحتجاج.

لقد نشأ، وذلك هو حالنا، في حقبة غير مسالمة، حافلة بالثورات والاضطرابات والاحترابات والزعامات، والاستقطابات الحادة، وكان جريئًا وحادًا، في حالات كثيرة، ولم يكن على غفلة من قسوة الكون و"الرفاق" غير المحتملة بقدر ما كان مستعدًا للمجازفة بإغضاب كهنة الحزب وقياداته المتشددة ورموز عصبياته التي سقطت كلها في هاوية النسيان المستحق، وبقي حسن حيًا بيننا، ملهمًا، مضيئًا في الذاكرة، كما بقيت سيرته وكتاباته حاضرة برونق اعتراضها القوي على الانحدار والسقوط، وما أكثر ما أنجز في زمن وجيز في "النداء" وغيرها من كتابات مسكونة بطيف لكتاب أعظم وأكثر جاذبية.

إنه حسن الذي كف عن مشاركتنا أيامنا ويومياتنا التعسة والبائسة، عن اجترار الكوابيس، وعن بلاد تكاد تتلاشى من الجغرافيا واليابسة.

لقد رحل وهو لا يملك ثمن الدواء بعد أن اجترح كتابة في غاية الثراء، شفافة، ساخرة وحزينة، بلا من ولا شكوى، جسد يتألم بصمت، غارق في عزلته وعزلة وطنه، عزلة في البيت وعن البيت والمدينة التي عشقها: عدن.

لقد مر عامان على رحيله عنا دون أن يرحل منا ذلك الصديق والرفيق

الجميل في التوجه الاشتراكي وفي اليسار قبل أن يتخثر ويتبعثر بين القبائل والطوائف والجهات.

ولطالما افترقنا، ولكن ظلت الصداقة هي عنواننا الأبـرز المتجاوز لتقلبات الأيام ونوائبها، وتقلبات أمزجتنا وأحوالنا وأهوالنا التي يتناهى إلينا الكثير من صداها عبر كتاب "النداء" هذا.

كان حسن من ذلك الجيل الذي تعلم أن الرفقة لا تعني، بالضرورة، أن تتطابق الآراء، وأن الصديق الحقيقي ليس هو الذي يقول دائمًا "نعم"، وإنما هو الذي يختلف معك لتتعمق صداقتكما أكثر، وذلك ما نفتقده اليوم.

ذلك ما كان عليه حاله وهو في "الثوري"، ثم انتقاله إلى رئاسة تحرير صحيفة "الوحدة"، حيث استطاع أن يميز هذه المنابر بخطاب تعددي منفتح على أقلام وكتاب من مختلف المشارب.

وكانت كتابته تشبهه تمامًا، يمتزج فيها الغضب بالسخرية، وتتميز بالحساسية العالية تجاه ما يجري، كما لا تخلو من انفعال وحِدّة المشرط.

ولهذا فإن الكتاب الذي بين أيدينا ليس مجرد مجموعة من النصوص بقدر ما هو محاولة لاستعادة صوت نبيل لرجل أفنى جل عمره القصير

في الصحافة والشعر مذ كان في الإعدادية، وخلف الكثير من النصوص التي لا يعود إلينا من خلالها بوصفه "الراحل"، وإنما بوصفه الكاتب الذي مازال يملك قدرة مدهشة على محاورتنا بصوت واضح صادح لشخص كان يحتفظ للصداقات القديمة بمكان خاص في ذاكرته حتى عندما تتغير المدن وتتباعد المسافات، وتفعل السياسة فعلها القاسي في حياة الناس.

تبدو الكتابة عنه اليوم أشبه بمحاولة استعادة زمن كامل، لا شخص بعينه، وحين أكتب هذا عن حسن فإني لا أستعيد المعلومات فقط، بل أستعيد الأصوات والأمكنة والتفاصيل الصغيرة، ومقاهي وشواطئ جولدمور وخليج الفيل، وأرصفة، ومكاتب تحرير، وحبر مطابع، وكتبًا وروايات، وأسماء أشخاص عبروا حياتنا ثم تفرقت بهم السبل، أستعيد زمنًا كانت فيه الصحيفة مكانًا للقاء، والمقالة موقفًا، والقصيدة احتجاجًا، والصحافة مساحة للدفاع عن الإنسان، والكلمة وسيلة للتثوير والتنوير وتوسيع الرؤى حين تضيق المساحات وتتراجع حرية التعبير.

واليوم، رغم انقضاء أكثر من أربعة عقود على أول لقاء جمعنا في المقهى المقابل لمقر صحيفة "14 أكتوبر"، أتذكر ذلك كومضة منعشة

رسائل من زمن آتٍ

أعيشها في هذه اللحظة، وأنا أتصفح هذا الكتاب، وأقرأ نصوصه وشذراته التي لم تصدر عن كاتب غائب، وإنما عن كاتب يخاطبك وتراه الآن، وهنا... هذا الكتاب لا يقدم لنا حسن عبدالوارث لوحده، وإنما يعيد إلينا شيئًا من الزمن الذي صنعه وصنعناه معًا، وصورة لجيل كامل، ومسيرة علاقة وصداقة لا تنتهي عند آخر صفحة أو سطر، بخاصة إذا كانت متصلة بإنسان لا يمكن تعريفه بالمناصب التي شغلها، ولا بالكتب والقصائد والمقالات التي تركها، لأن ما تبقي منه هو شيء آخر، أكثر خفاءً وأشد حضورًا، تلك التفاصيل الصغيرة التي لا يعرفها إلا من عاش معه في أوج حضوره البهي، وفي أقاصي هشاشته العالية، وتقاسم معه قلق الأيام وأحلامها وخيباتها.

لقد مر زمن طويل على تعارفنا، تغيرت البلاد، وتبدلت الأمكنة، وتفرقت الوجوه، وغاب كثير ممن كانوا جزءًا من المشهد. بعضهم رحل، وبعضهم حملته المنافي بعيدًا، وبعضهم بقي في المكان، لكنه صار بعيدًا عن الزمن الذي جمعنا، وبقي حسن شاهدًا كما كان.

اليوم، وأنا أكتب بعد أن ترددت وتحيرت كثيرًا في ما سأكتب، واعتذرت لصديقي سامي غالب عن كتابة هذا التقديم، ثم تراجعت،

أشعر أن العزيز حسن بجانبي يقرأ ما أكتبه عنه، يعترض على بعضه، وربما يسخر من مبالغتي، لا أملك إلا الانحناء أمام ظله العالي، والتحية لوفاء "النداء".

والحال أن خبر رحيله عشية ذكرى ثورة 26 سبتمبر، 2024، لم يكن مستغربًا بالنسبة له، وقد كان سباقًا إلى توقعه في قصائده ومنشوراته الأخيرة، قصائد حب حزينة جمع فيها أساطير حلمه وهو يهرول إلى قبر أمه...:

"في آخر الحرب
سيجمع كهل أساطير حلمه
ويهرع إلى قبر أمه"

... وكتب:

"اشتدت الآلام بالجسد
ولم يعد في الصيدلية دواء،

ولا في الجيب ما يكفي لثمن الدواء،

قلت للطبيب: قلبي يوجعني

قال: كل قلوب اليمنيين توجعهم هذه الأيام،

أنت لست استثناء.

نمت في عدن،

واستيقظت في منفى،

والبيت هو البيت،

لكن الوطن تغير عنوانه،

أنشر الآن قصائدي على فيسبوك بعد أن كنت أنشرها في الصحف،

أعلق وحدي

وأتألم وحدي

فإذا جاء الوداع

قولوا لهم

كان يحب عدن،

حتى آخر وجع.. "

... هذه بعض خواطره قبل الرحيل، وكانت عدن هي الحاضر الأكبر في ذهنه وهو في أقصى حالات الوهن... عدن:

"مصقولة كالحلم

كالشمس المذابة في "خليج الفيل"

كالنار الضحوكة في خيام الريح

كالناس الذين أحبهم

جاءت عدن

جاءت، وحطت، في سويداء البلاد".

• حسن عبدالوارث وإلى يساره سكرتير تحرير «النداء» الراحل بشير السيد - الكويت أبريل ٢٠٠٨

حسن عبدالوارث

صندوق الدنيا

●● عن رجلٍ كثيرٍ أكتبُ.. حين يكون الرجال قِلّة..

عن زميلٍ كبيرٍ أكتبُ.. حين يغدو الزملاء بعض قملة..

أكتبُ عن قامة في زمن القُلامة.. أو عن استثناء

في زمن القاعدة السائدة هذه الأثناء..

عن عبدالباري طاهر.. أكتب..

وقد احترت ماذا أكتب؟!... بل عن أي الوجوه في عبدالباري أكتب؟!

تُرى، أَأَكتبُ عن زميل المهنة.. أم رفيق المحنة؟!...

عن خليل الدرب.. أم نزيل القلب؟!... عن شريك الفكرة.. أم صديق الحسرة؟!

● عبدالباري طاهر

الكتابــة عن «صندوق الدنيــا».. فهو صندوق له ألف ألف مفتاح، برغم أنه ليس عليه قفلٌ قَطْ!

باختصار شديد، كما هي عادتي في الكتابة، أقول: إن عبدالباري محمد طاهر الأهدل.. موسوعة يمانية تمشي على قدمين لم تنتعلا يومًا حذاءً فاخر الطراز..

ينــوء كاهــلاه بمخزون نفيس من الثقافات المتعددة.. مــن دينية على جميع مذاهبها ومدارســها وفقهائها وعلمائها.. إلى ماركســية على عديد شــواطئها وموانئها ومؤنها ومحنها.. إلى فلكية.. وأدبية.. وإعلامية.. وسياسية..

حتــى إذا أردتَ أن تــزور أفضــل ورشــة لصناعــة وصيانــة ورواية «النكتــة»، فعليك بزيارته..

و«أبو وضاح» أنموذج ساطع للقدرة المتميزة على خلق حالة من المثاقفة الحوارية.. وهــي حالــة معدومــة -أو تــكاد- في هذا الزمــكان.. ومــا كل تلك الجلبة -فــي الندوات والمؤتمــرات والمحاضــرات والمناظــرات- ســوى حالــة غوغائيــة لا تختلــف كثيــرًا عن غوغــاء الماتــادور في حلبة مقارعــة الثيران في مدريد، أو مصارعــة الديوك في مانيلا، أو «مُفاخَطــة» القطــط في شــارع هائل! فما أحوجنــا إلى حوار ثقافي رفيــع في أدواته وقنواتــه، وقضيته ولغتــه، وأخلاقياته وعلاقاته، وأطرافه وأهدافــه، بقدر حاجتنا إلى كثيرٍ كثير من عبدالباري طاهر.

فحين يرفع البعض عقيرته بالخوار.. تجد عبدالباري يفتح سريرته للحوار..

وهنا تعرف الفرق الشاسع والبون الواسع بين «أهدل» و... «أهبل»!

وحــين يتهافــت البعض علــى مال أو جاه أو ســلطان.. ترى ابن الأهــدل يتهاتف مع أحلام الرفاق وآلام الأصدقاء وآمال الإخوان.

فإذا به أول ناقد لا تجد عنده النقود، وأول متوقد لا يملك كوبون الوقود!

وحين يغرز البعض أشواكًا سامة في خاصرة القيم والمثل النبيلة.. إذا بالرجل يغرس بذورًا مقدسة في تربة الأشياء الجميلة والأفياء الظليلة.

وإذا أضاف البعض مفردات ومعاني الخِسّة والنجاسة والنخاسة إلى قاموس السياسة.. فإن «أبا وضاح» يضيف إليه مفردات ومعاني الحصافة والدماثة والكياسة..

أما إذا بحثت عن القشور والبثور والدمامل والمظاهر.. فأنت لن تلقى ثمّة مكانًا لعبدالباري طاهر.

■■■

●● شاركتهُ العمل.. شاركته الطعام والشراب.. شاركته السفر.. شاركتهُ الشكوى والسلوى.. شاركتهُ الأسرار والأخبار.. شاركتهُ الضحكة والصرخة.. ومع هذا وتلك، شاركتهُ الخلاف والاختلاف في بعض الأحيان، بل في كثيرها..

بَيْدَ أن الخلاف مع عبدالباري -والاختلاف معه- يظل بعيدًا عن كل وسائل الدسيسة ووسائط الحقد والغدر والضغينة والبغضاء..

وماذا بعد...؟

ثمة الكثير الكثير ليقوله المرء أو يكتبه في عبدالباري وعنه.. ولو استرسل المرء القول، أو استسهل الكتابة -في هذا المضمار- لما كَفَتْهُ الليالي والأيام، ولا أَوْفَتْهُ الدفاتر

والأقلام.. فالرجل بحر متلاطم المناقب، وبلاد مترامية المناكب.. لا تكاد تلمح أول الشعاع في نهاره، حتى تكتشف لرؤاك غيولًا صافية المسيل وخيولًا ناصعة الصهيل!

وأعرف أن القارئ الكريم -الذي لم يعرف عبدالباري طاهر عن كَثب وعُمق كافيين- لن يفقه ما وراء هذه السطور..

إنّما وحدها تستطيع الكشف عن حقيقة هذا الرجل.. وحدها قادرة على اختزال كل تاريخه ورصيده وكيميائه وجغرافيته..

إنها... جنازته!

له العمر المديد بإذنه تعالى، آمين.

● «النداء»، العدد ٥٢، الأربعاء ٢٦ أبريل ٢٠٠٦

حسـن عبدالـوارث

لا لحريـة القـول والبـول.. نعـم لحريـة «الجـول»!

●● لعبـت كـرة القـدم ثـلاث مـرات حتـى الآن...

فـي المـرة الأولى لـم تَمْسَـسْ قدماي الكـرة قـطْ.. وفـي الثانيـة خرجـتُ من الملعـب، جـرّاء الإصابة، إثر ثـلاث دقائق على بـدء المباراة... أما في المرة الثالثة فقد سجلتُ هدفًا تاريخيًا.. في مرمى فريقي!

ما علينـا... فليـس تاريخي الكـروي ناصع البياض هو موضوعنا...

موضوعنا هو المونديال المقبل بعد شهر وأيام... وجميعنـا -من قيادة البلاد والعباد إلى قيادة أصغر فريـق كرة قدم فـي أنأى قرية أو حارة- نـدرك جيدًا أن الشـارع الشـعبي اليمني بات في أَمَسِّ الحاجة إلى قتل

رسائل من زمن آتٍ

الوقـت والجهـد والذهن والأعصاب، في حدث غير الحدث السياسـي، أو في حادث غير الحادث الانتخابي، أو في أحاديث غير أحاديث السـلطة والمعارضة -على السـواء- في شـأن الحيـاة الحزبية وشـؤون العملية الانتخابية وشـجون اللغـز الغامض عن هوية رئيس الجمهورية المقبل!

ولا يوجد أحد من بني آدم يموت عشقًا وحرقًا وغرقًا في السياسة بقدر «أبو يمن».. وقد سـأل مواطن عربي -في برنامج «السياسـة بين السائل والمجيب» الشهير في إذاعة «B.B.C» البريطانية قبل عدة عقود- عن أقرب وأبسط وأفضل الوسائل لتعليم أبجديات السياسة، فأجابوه: اذهب إلى أقرب مقهى شعبي في اليمن!

غيـر أن المماحـكات والمناكفـات والمخابطـات والمداكمات التي باتـت تكتنف الحياة السياسـية اليمنيـة -لا سـيما هذه الأيـام- دفعت «أبو يمن» إلى البحث عن عشـق آخر والوَلَه بمعشوقة أخرى.. ولا أظنه سيلقى عن السياسة بديلًا أفضل من الرياضة، برغم أن هـذه الثانيـة صارت -هي الأخرى- وجهًا آخر للسياسـة، في دوامة العبث والعنت.. والانتخابـات الأخيـرة لاتحـاد كرة القدم واللجنة الأولمبية تشـهد على ذلك، إذْ سـمعنا وقرأنا الويل بهذا الصدد.. والعلم عند الله وحده!

فالسياسـة -فـي هذه البلاد- لم تعد مـن جدوى فيها ولها وعنهـا غير حرية القول، مجـرد القـول، والقول فقـط.. أي مجرد الكلام الفـارغ والهدرة الفاضية مثـل كرة القدم مـن الداخل، ويوم اعتقلت الأجهزة «إيّاها» -في مصر عبدالناصر- أسـتاذ الجيل أحمد محمد نعمان ورهطًا من رفاقه، وزجّت بهم في أحد معتقلات قاهرة المعز وصلاح نصر.. كان النعمان يطالب سـجّانه بالسـماح لـه بالذهاب إلى المرحاض -عـزّ الله قدر القارئ والكاتب والناشر- غير أن مطلبه كان يذهب سُدى.. ويومها أطلق «أبو محمد» صرختـه

الأشهر من «إيّارة» محمد المساح، قائلًا: كنا نطالب بحرية القول.. واليوم صرنا نطالب بحرية البول!

أيضًا، ما علينا من حرية القول والبول.. المهم يا حبايب حرية «الجول»... فهو القائد والملهم والموجّه للإرادة الشعبية الحرة والحماسة الجماهيرية المتفجرة خلال يونيو المقبل... وبعدها يَحُلّها ألف مليون حلاّل!... وبالطبع، المُطّلعون على أنصع الصفحات في تاريخ النضال القومي والتحرري الباسل والبطولي للشعب العربي الأبي، يعرفون من هو البطل «جول جمال»؟!

وقد سمعنا أن المحافظ الرياضي -كما يحلو لبعض الزملاء تسميته- الدكتور يحيى الشعبي وَعَدَ الجماهير الرياضية الغفيرة في العاصمة الباسلة بثلاث شاشات عملاقة تنقل لهم عن كثب وعلى الهواء مباشرة مجريات الأحداث الكروية القائمة في ساحة مونديال ٢٠٠٦ على الأرض الألمانية التي ستهتز هذه المرة تحت أقدام اللاعبين والمشجعين والمشاهدين بصورة أكثر بكثير مما اهتزت في الحرب الكونية الثانية تحت أقدام الجنود وجنازير الدبابات وقذائف الطائرات والمدافع!

أما الشاشة الرابعة فسيُقيمها صديقي وزميلي عبدالله الصعفاني -في مكتبه المجاور لمكتبي- كي أُشاهد معه آخر مباراة في نهائي المونديال، والتي ستُقام بين منتخبي اليمن وبوركينا فاسو!

● «النداء»، العدد ٥٣، الأربعاء ٣ مايو ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

أدباء... لكن جبناء!

●● فوجئتُ بأن صديقي الأديب يخشى ركوب البحر أكثر مما يخشى الفيلُ الفأرَ..

والعجب أن صديقي هذا لا يهاب البحر اللجاج أو المحيط العجاج فحسب.. إنما يخاف أيضًا، وبأشد ما يكون الخوف، أن يركب قاربًا ينتقل به، عبر مُسطّح مائي على الشاطئ، لمسافة لا تزيد على عشرة أمتار، وبسرعة لا تتجاوز عشر عقدات!

وحين وبّختُ صديقي، واصفًا إياه بأنه جبان جدًا.. ذكّرني بأنني أكثر جُبنًا منه، لأنني أخشى قيادة السيارات، وبصورة تُضاهي خشية الحكام العرب من شعوبهم، برغم أن هذه الشعوب أثقل نومًا من أهل الكهف!

لكننـــي أجد العزاء فـــي أن الدكتور عبدالعزيز المقالح –وهو من هو!– يخشـــى الســـفر، إلى الحد الذي منعه من مغادرة اليمن –منـــذ عودته من القاهرة إثر نيله الدكتـــوراه– بل مغادرة صنعاء إلّا لمامًا.. حتى إن ندرة خروجه من هذه المدينة تعد أحد الملامح الأساسية لهويته الذاتية.. وقد أدركتُ ذلك حين وصل إلى عدن عشية إعلان دولة الوحدة!

والأمر ذاته –على شيء من الليونة– ينطبق على الشاعر الكبير إسماعيل الوريث الذي ينشـــطر فؤاده هلعًا كلما ركب الطائرة.. بالرغم من كثرة أســـفاره في جوف الطائر الميمون!

والحال نفسها تلتصق بالأديب «النوبلي» الفذ نجيب محفوظ الذي لم يسافر في حياته كلها إلّا مرتين، إلى يوغسلافيا واليمن.. ويُحكى عنه أنه يخشى السفر حتى داخل مصر نفســـها، إذ لا يغادر القاهرة إلّا إلى الإسكندرية!.. وقد ردّد غير مرة: «إنني أكره السفر بطبيعتي»!

وقـــد كان الأديب اليمني الراحل فؤاد عبدالعزيز يخشـــى –أكثر ما يخشـــى– الشرطي.. فإذا صادف شرطيًا في الطريق أو استوقفه شرطي لأمرٍ ما، ينفطر قلبه حتى يكاد ينخلع من صدره، بل إنه فجأةً ينسى كل مفردات اللغة العربية، فإذا به «يرطن» باللغة الأمهرية!

أما الأديب والكاتب المعروف فريد بركات فهو مهووس بالوسوســـة من الإصابة بالمرض.. حتى إذا كان في «مقيل» وعرف أن أحدهم مصابًا بالزكام أو رأى أحدًا

«يعطـس» ولو على بعد ثلاثمائة متر منه، فإنه يهرع تاركًا المكان على الفور!.. وهو يحضر إلى «المقيـل» مُدجّجًا بالأدوية والعقاقير وأجهزة قياس الضغط والسـكر والحرارة.. ولولا المشـقة -على نفسـه وأصدقائه- لجاء حاملًا معه غرفة عمليات متنقلة!

وبعض الأدباء والكُتّاب يخافون الحكومة.. وبعضهم يخشون المعارضة.. وآخرون يهابون زوجاتهم.. غير أن في كل أديب أو كاتب -على الإطلاق- ثمة مكانًا يقبع فيه شبح الخوف أو بُعبع الهلع أو الجُبن أو التطيُّر!

● «النـداء»، العـدد ٥٤، الأربعـاء ١٠ مايـو ٢٠٠٦

حســن عبدالــوارث

حكايتي مع.. الملائكة

قيلَ إن الإنسان خليط من ملاك وشيطان.. بمعنى أن الخير والشر حالتان لازمتان في تكوين كل إنسان، برغم أن إحداهما قد تطغى على الأخرى تحت ظرف ما، فطري أو قسري.

ويُقال إن لكل إنسان ملاكين، عن شمال ويمين، هما «رقيب» و«عتيد».. الأول يكتب حسنات المرء، والآخر يُسطِّر سيئاته بصورة أمينة ودقيقة، لا يشوبها غبار التقارير السرِّية التي يكتبها مُخبرو الأجهزة «إيّاها» أو الزملاء «إيّاهم»! أي أن «رقيب» و«عتيد» يصيران -عند البعض- «نقيب» و«عقيد»..!

ولكن... هل حكايتي مع الملائكة -حسب عنوان هذه السطور- مقصود بها ملائكة السماء، من قبيل: جبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل... إلخ؟... أم أن ثمة «ملائكة» أخرى هي المقصودة؟

في أحد نهارات الشهر الرابع من العام ١٩٧٩.. تأبّطتُ أول محاولة شعرية اقترفتها، وذهبت بها إلى أكبر صحف عدن حينها، فيما القلق والخوف والتوجس والتردُّد والخجل وكل المشاعر السوداء والزرقاء والصفراء والرمادية، ترتديني من أُمِّ رأسي حتى أخمص قدمي.

دلفتُ بوابة مبنى الصحيفة.. سألتُ عن صاحب الأمر والنهي في الشأن الثقافي هناك.. دلّوني عليه.. وإذا بي أقف قبالته وكأنني أقف قبالة أحمد شوقي شخصيًا.. مَدَدْتُ إليه بمولودي الأول.. فراح يمرُّ بعينيه بين سطور النص الخجول.. وبعد لحيظات -مرّت عليّ قرونًا- أعاد إليّ النص بفتور، ناصحًا إيّاي بأن أحاول مرةً أخرى (على طريقة الأنسرماشين حق الموبايل هذي الأيام!) حتى أتمكّن من أدواتي الشعرية!

وكان الشاعر والصحافي المصري الأستاذ زكي عمر رحمه الله (وكان يقيم ويعمل في عدن حينها) حاضرًا هذا المشهد، فتبعني إثر خروجي من مكتب المحرر الثقافي في الصحيفة، وطلب مني أن أعطيه النص.. وبعد أيام فوجئت به منشورًا في زاوية كان يُحرِّرها في الصحيفة ذاتها.. وكانت المرة الأولى التي تنشر لي فيها الصحافة شيئًا اقترفه قلمي!

لا أدري لماذا حقدتُ على ذلك المحرر الثقافي آنذاك.. فحزمتُ أمري على الانتقام منه، بصورة توقعه في شرِّ أعماله، من وجهة نظري، اللئيمة.. وفي الوقت نفسه، تعيد لي -أو بالأصح لقصيدتي- الاعتبار!

ذهبتُ إليه بعد أسابيع، مضمرًا سلاح الانتقام.. فقد حملتُ إليه نصًا، قرأه كما قرأ الأول، وأعاده إليّ كالمرة الأولى تمامًا، وأكمل المشهد بالعبارة ذاتها، مضيفًا: «يا ابني،

يبدو أنك مستعجل على النشر.. أنصحك بالقراءة كثيرًا، والمحاولة طويلًا، قبل أن يحين موعد النشر»..

غير أن المشهد كله انقلب رأسًا على عقب بعد هُنيهات.. إثر أن كشفتُ له أمرًا أذهله ثم أخجله، لا سيما أن عددًا من زملائه كانوا حاضرين بيننا.. فالأستاذ المُبجّل أدرك يقينًا أن النص الشعري الذي رفضه للتوِّ، بدعوى عدم صلاحيته للنشر، ليس للعبدالفقير إلى الله.. إنما للشاعرة العربية الرائدة «نازك الملائكة».

● «النداء»، العدد ٥٥، الأربعاء ١٧ مايو ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

الرئيس افترس كبشًا... والوزير الْتهم ضفدعة!

أصدقائي الذين أكلوا الحمير والخنازير!

للناس في ما يعشقون مذاهبُ..

هكذا قال أجدادنا.. وقد كانت مشاعر الحب الفياضة تحتويهم من جهة القلب.. أما نحن -أحفادهم- فإن هذه المشاعر تنسلُّ إلينا من جهة المعدة.. لذا فإن لنا مذاهبَ، ليس في ما نعشق.. وإنما في ما "نبلع"!

وبرغم أن منطق الحياة وقانون الطبيعة يؤكدان على أن الإنسان يأكل ليعيش، وليس يعيش ليأكل.. إلا أن الأكل -لدى عديدين- صار مشروعًا استراتيجيًا بالغ الأهمية، وما دونه من قول أو فعل أو نشاط إنساني هو مجرد "تكتيك"!

وبمناسبةِ ذكر الأكل.. كان لي مع عدد من الزملاء والأصدقاء -وبعضهم مشهور- حكايات لطيفة ومواقف ظريفة، يستحق

عديد منها أن يُروى.. لكنني سـأحجب أسـماء ذوي المواقف التي قد يعتبرها أصحابها ضربًا من التشويه، أو الإحراج في أهون الأحوال.. مثل الوزير السابق الذي التهم -في أحـد مطاعـم بيروت- كمية ضخمة من اللحم الذي وجده شـهيًا جدًا، قبل أن يعرف أنه لحم ضفادع، وبعدها "عينك ما تشوف إلّا النور"!

.. أو ذلك الكاتب الكبير الذي تلذذ بوجبة دسـمة من اللحم لم يذقها في حياته قبلًا، ثم فوجئ بأنها لحم خنزير!

وفي قرية بلغارية يشـتهر أهلها بكرم الضيافة، راح صاحبنا يلتهم "مقلبًا" في غاية القـرف، وقـع فيه تحت تأثير حسـن النية وشـدة الثقـة ووطأة الجوع.. فقـد احتار في صنف اللحم الذي بلعه للتو بكمية تكفيه لأسـبوع على الأقل.. فهو لم يسـتطع تمييزه: أكان لحـم عجـل، أم خـروف، أم ماعز؟!.. لكنه مرض لعشـرة أيام، إثـر أن عرف أنه لحم تعرفه أشهر المآدب في عديد من نواحي بلغاريا... إنه لحم الحمير!

● اثنان من أعز أصدقائي وزملائي هما: د. عمر عبدالعزيز ومنصور هائل، ثمة ثأر تاريخي وعداء اسـتراتيجي بينهما وبين الطعام.. فهما يجدان الأكل مجرد "كماليات".. ولطالمـا ردّدا أمنيتهمـا الغاليـة بأن يخلق اللـه لهما وعاء يوضع أعلـى الحنجرة ليتم إلقـاء الطعـام فيه، من دون أن يضطرا إلى أداء تلـك العملية الصعبة والمرهقة، المتمثلة في المضغ والهضم!

الأمر ذاته ينطبق على الزميل الصديق علي السقاف، الذي تخاله -من هيئته- يفطر بدجاجتين ويتعشـى بسمكتين، وبينهما يتغدى بخروف أسترالي.. غير أن "الاسم كبير والعشاء قليَة"!

وعلى العكس منه تمامًا، الأستاذ الكبير عبدالواسع قاسم -رحمة الله تغشاه- ومع

فـارق يبلـغ حد المفارقة، وهو أن جسـمه الضئيل للغاية لا يوحـي بأنه قادر على تناول جنـاح دجاجـة!.. وهو ما أثار "الرعب" في قلب المستشـرق الروسـي فيتالي ناعومكين، خلال مأدبة جمعتنا -ثلاثتنا وآخرين- في العام ١٩٨٦م!

وذات يـوم بعيـد، دُعيتُ إلى وليمة غداء عامرة بالآكلين والمأكولين.. وفوجئت باثنين (أحدهما رئيس جمهورية، والآخر سياسـي قيادي) يفترسـان لوحدهما -لا ثالث لهما- كبشًا بحجم فيل أبرهة الأشرم!

● فـي كل أصقـاع العالـم، يجتاح الجراد البـلاد فيأكل الأخضر واليابـس.. وما إن ينتهك الحدود اليمنية، حتى يؤكل!

وفي بعض بلاد آسيا يأكلون القرود والثعابين والسحالي!

وفي بعض بلاد أوروبا يأكلون الحمير والضفادع والديدان!

وفي بعض البلاد الأخرى يأكلون الكلاب والقطط والفئران!

العـرب لا يأكلـون -كما أظن- هذه الحيوانات.. غير أنهـم يأكلون ما هو أكثر مدعاة للاشمئزاز، بل وأكثر بعثًا على القشعريرة... إنهم يأكلون الحمام والعصافير، وهي من أجمل وأنبل ما خلق الله من الطيور.. عدا أنهم يصطادون وينهشـون صنفين من أروع وأودع الحيوانات على الإطلاق: الأرانب والغزلان!

اليمنيون -ولله الحمد- لا يأكلون الأصناف سالفة الذكر.. غير أن الله ابتلى بعضهم بما هو أكثر بشاعة، بأن جعلهم يأكلون بعضهم بعضًا.. ومن دون شوكة أو سكين!

● «النـداء»، العـدد ٥٦، الأربعـاء ٢٤ مايـو ٢٠٠٦

حسـن عبدالـوارث

فـأرة.. مصيـدة وجبـن!

● يُحكى أن رجلًا شتم "المُهلّب بن أبي صُفرِة" فلم يُجبهُ.

فقيل له: لِمَ حلمتَ عنه؟!.. قال المهلّب: لا أعرف مسـاوئه، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه.

إنه درس بليغ في شـرف الخصومة الذي يندر وجوده في هذا الزمان!

فالنزاهـة في الخصومة تعيش أزمة حادة في صفـوف الناس.. لكنها -للأسـف- تبدو بجلاء في أوساط المثقفين!

فالأدباء والكتاب والصحافيون والفنانون -وسائر المبدعين- هم أكثر الفئات الاجتماعية ظهورًا على سطح المجتمـع، وهم -بالتالي- أوسـع الشـرائح صيتًا وأرفعها صوتًا..

لكننـا -للأسـف- نجدهم الأقـرب إلى دائـرة "الفضيحة" الاجتماعية.. إذ سـرعان ما

يشرعون في نشر غسيلهم القذر قبالة عيون الناس، أكان على صفحات الجرائد والمجلات أم في المحافل الاجتماعية المختلفة، كمقايل القات!

وقد شهدنا العديد من حالات "المبارزة بالكلمات" التي دارت رحاها -عبر الصحف والمجلات- بين عدد من رجالات الأدب أو الصحافة أو الفن.. وقد كان بعض هذه "المعارك" ذا قضية موضوعية جادة.. فيما كان بعضها ذا مسألة ذاتية ساذجة.. لكنها جميعًا ضاعت في دوامة العبث، حين أضاعت الجدل الجاد والحوار المنهاجي والنقاش العقلاني.

فكم من غاية سامية أو حقيقة غالية ضاعت من الناس بضياع مفاتيحها.. وبعدها ظلت الدروب مسدودة والأبواب موصدة.

وما يدعو للأسف البالغ أن أرباب الحكمة وأصحاب الكلمة وأقطاب الأمة، ممن يجدر بهم أن يكونوا الدعاة إلى العقلانية في إدارة الأمور، والمنابر الهاتفة بالحق والحقيقة في معالجة القضايا والمشكلات التي تهم المجتمع والناس، صاروا أكثر الناس عرضة للسقوط في حفرة المحذور والوقوع في شَرْك المحظور!

وحين تطغى الثرثرة الجوفاء على الصمت المتأمل، ويرتفع الصراخ الهستيري على الهمس العذب، تتلاشى -في المدى الممتد بين العقل والوجدان- خطوط الفصل وخيوط الوصل.. وحينها تنقطع أسباب الصلة والتواصل وعوامل التأثير والتأثر بين الفرد والمجتمع.. لا سيما بين حامل القنديل وطابور السائرين خلفه في درب حالك الظلام!

وكما قال المثل العربي المأثور: "لو كانت الغلبة بالضجيج لكانت الحمير أول الغالبين"، نجد أن الضجيج قد ساد أجواء الحديث والحوار والبحث والنقاش عند معظم حالات الخوض في قضايا المجتمع ومشكلات الواقع -لا سيما لدى أهل الكلمة- ولا سيما في

رسائل من زمن آتٍ

الأمور التي تقترب من دوائر نشاطهم وهموم مهنتهم!

يقـول الكاتـب البلغـاري الفذ "إيفـرايم كارانفيلـوف": "إن أخبار السـوء عن الزملاء تنتشر أكثر ما تنتشر عن طريق ضيقي الأفق"!

وهذه حالة يعيشـها عدد من الزملاء الأعزاء! والمصيبة أنهم لا يعيشونها في أجواء الكيد والنميمة والغيبة التي تتطلب الكتمان والسريّة.. بل نجدهم يتعدونها إلى نطاق العقلانية، على صعيد النشر المكتوب أو الحكي عالي الصوت!

كما يقول "كارانفيلوف" أيضًا إن ثمة أناسًا "لديهم حماسة، ولكن ليست لديهم أفكار.. والحماسـة ثمرة حالات طارئة".. مشـيرًا إلى أنهم "يتحدثون عن الأفكار، ولكن لضرورة منفعتهم الشـخصية".. مؤكدًا على أنهم "يكونون أحيانًا مؤهلين لأن تكون لديهم أفكار، لكنهم غير مؤهلين لأن يخدموا هذه الأفكار"!

وهـذه حالة أخرى تسـود كثيرًا من وقائع الجـدل والبحث والحوار بين زملاء المهنة الأفاضل..

فالحقيقـة التـي لا غبـار يعلوهـا، تفيد -حسـب وصف الكاتب نفسـه- بـأن الطاقة الجامحـة لـدى بعض هؤلاء، والتي يسـتعرضونها بسـخونة مرتفعة، هي مؤشـر إلى الفقر الروحي وانعدام العمق في الوعي.. وحينها يغدو هؤلاء حالهم كحال "الفأرة التي وقعت في المصيدة، ولم يبقَ لديها سوى أن تقرض قطعة الجبن"، على حد تعبير الأديب الكبير "أندريه جيد"!

الرئيس.. النقيب.. جحا

قالوا: اسمعوا يا خُبرة.. الرئيس مش ناوي يترشّح للرئاسة مرة ثانية..

فإذا بالنطيحة والمتردّية وما أكل السبع يتدافعون للإعلان عن ترشُّحهم لمنصب رئيس الجمهورية في بلد يقطنه عشرون مليون رئيس جمهورية! وغاب عن بال بعضهم أن لشغل هذا المنصب شروطًا لا تنطبق عليهم، إما شكلًا وإما موضوعًا وإما كليهما..

غير أن الأستاذ الفذ (جحا) أطلق ذات يوم كذبة أبريلية في أهالي قريته، مفادها أن أحد أعيان القرية قد أولم لجميع الأهالي.. وحين رأى جحا الناس يتوافدون على دار الرجل، قال في نفسه: "ربما كان الخبر صحيحًا"... ولحق بالجميع!

واستقال نقيب الصحفيين في هذا البلد الذي يبلغ فيه عدد المشتغلين بالكتابة ثلاثة أضعاف عدد القادرين على القراءة!

وهنا -أيضًا- تدافع المتدافعون للتنافس على وظيفة نقيب الصحفيين..

ولا مندوحة في ذلك.. غير أن بعضهم غاب عن باله أنه ليس عضوًا في نقابة الصحفيين أصلًا.. لكن يبدو أنه ظنّ أن "النقيب" رتبة عسكرية!

● «النداء»، العدد ٥٧، الأربعاء ٣١ مايو ٢٠٠٦

حسـن عبدالـوارث

حديقـة الحيـوان اليمنيـة!

في جُلِّ بـلاد الدنيا ثمةَ حديقة للحيوان، لهـا أسـوار وأبـواب وحـرس، ينتظـم فـي دخولها الزائـرون بتذاكـر مدفوعة الثمن..

فـي اليمـن، حديقة الحيوان بلا أسـوار ولا أبـواب ولا حـرس، والمشـاهدة فيهـا بلا تذاكر ولا ثمن..

إنهـا حديقـة حيـوان مفتوحة علـى الجهات الأربـع، وكل مـن فيها لا يمشـى على أربـع، وفيها الحيـوان فـي لبوس بشـري ولسـان آدمـي، بَيْدَ أن سلوكه حيواني.

فيها الماشية.. وهي تمضغ عشبًا أخضر طوال الوقت حتـى تنتفـخ أوداجها كطبـول القبائل البدائيـة في أعالي الأمـازون. غيـر أنهـا -إثر مضغها هذا العشـب "السـحري"- تُكثر من الحديـث، ولكنه حديث كالسكوت.. وتُكثر من الأفكار، ولكنها أفكار كالحصى.. وتُكثر من الأحلام، ولكنها

أحلام كالأضغاث، تخلفها كوابيس كأفلام الرعب الأمريكية!

وفيها الببغاء.. وهي تثرثر طوال الوقت، وتهرف بما لا تعرف، وتُردد كل كلام وأي كلام يُقال على مسامعها، فهي لا تُجيد سوى الحفظ الأجوف لمردود الكَلم والترداد الأحمق لمحفوظ الأذن، وهي بذلك جديرة برئاسة تحرير "وكالة أنباء" قالوا: تُعيد وتزيد في الكلام.. فالإشاعة لديها كالحقيقة، والحديث الغث كالسمين، والضعيف كالمتين.. المهم لديها أن تظل نافورة الكلام في حالة شغل دائم!

وفيها النعامة.. وهي أحمق الجميع، برغم أن أجدادنا أوردوا في موروثهم الأثير قولهم: "أحمق من ذبابة". غير أن النعامة نالت الكأس في دوري الحماقة.. فهي -كما يعرف القارئ وأنا فقط- تدفن رأسها في الرمال إذا شعرت بخطورة الموقف، اعتقادًا بليدًا منها بأن إخفاء رأسها عن مصدر الخطر يوازي مواراة جسمها كله، وهو ما يؤدي إلى وقوعها في حفرة الهلاك الناجز. وكل الحيوانات تحمل بطاقة واحدة هي: الشخصية، إلّا النعامة فتحمل غيرها بطاقة ثانية هي الحزبية!

وفيها الحرباء.. وهي أكثر حيوانات الحديقة إثارة للحيرة في نفوس المشاهدين.. فكل يوم تقوم بتغيير لونها، ما يجعلهم عاجزين عن تحديد لونها الأصلي.. وكل يوم تقوم بتغيير مكانها، ما يجعلهم حائرين في معرفة مكانها الأساسي. وإذا كانت النعامة تحمل بطاقتين معًا، فللحرباء عشرات البطاقات وجوازات السفر، وعشرات الأسماء والصفات، وعشرات العناوين والمهن!

وإثر زيارة الشاعر المعروف أحمد فؤاد نجم لحديقة الحيوان، وقف طويلًا قبالة الحرباء، وإثر مغادرته سطّر قصيدة ملحمية في وصفها، أختارُ من أبياتها:

"يتمركس بعض الأيام

يتمسلم بعض الأيام

ويصاحب كل الحكّام!"

وحديقة الحيوان اليمنية ليست حكرًا على هذه الحيوانات فقط، إنما ثمة عديد منها، متعدد الأشكال والألوان والأجناس والأحجام والصفات والوظائف..

فثمة البطريق.. وهو "منفوخ على الفاضي".. فهو طير لكنه لا يطير.. وبرغم ذلك تراه يسير كأبي زيد الهلالي أو أميتاب باتشان!

وهناك الخنزير وابن آوى.. وكلاهما لا يطيب له المقام والقوت إلّا في مقلب القاذورات!

وهناك الغراب والبوم.. وقد أصدر الأول صحيفة، ومنع الهدهد من العمل فيها.. فيما أسس الآخر حزبًا، وفصل الصقر من مكتبه السياسي.. وراح الاثنان يكيلان الشتائم لجميع حيوانات الحديقة.. وذات يوم، لم يجدا من يشتمانه، فشتما بعضهما!

أما الفيل المسكين فقد تقدّم بطلب إلى إحدى الغابات الإفريقية لمنحه حق اللجوء النباتي، بعد أن نهشه الجوع لانقراض كافة أشجار البامبو، وفُرض عليه أكل الكورن فليكس!

وفي الوقت الذي رفض أُحادي القرن الدستور الجديد الذي أقرّه برلمان الحديقة، لأنه يشيع أجواء التعددية، ترشّح الحمار لمنصب زعيم الحديقة، لكنه لم يحصل -في الانتخابات التي أُجريت لهذا الغرض- على أيِّ صوت، فقد أعطى صوته للأسد!

وثمة الحمام الزاجل، وكبراهن ترأس جهاز المخابرات في الحديقة. فيما عُيِّنَ الذئب رئيسًا لمنظمة حقوق الحيوان، وهاجر السنونو مؤخرًا لحصوله على عقد عمل في حديقة خليجية،.. وغادر الحمار الوحشي إلى العراق للجهاد ضد "الحمار" الأمريكي

و"الأسد" البريطاني و"الكنغر" الأسترالي!

وهناك التمساح.. وهو المسؤول عن الشؤون المالية في حديقة الحيوان!

وفي مسابقة أقيمت لاختيار ملكة جمال الحديقة، فازت الغوريلا باللقب، وجاءت اللبوة والكوبرا وصيفتين للملكة.. فيما نالت أنثى الطاووس أقل الدرجات!

وفي المؤتمر التأسيسي لمجلس شورى الحديقة، تم إقرار مصفوفة من المشاريع الإصلاحية لرفعها إلى البرلمان، من بينها: بيان إقرار "الدِّمّة".. والفصل بين الوجبات.. والتداول السلمي للقفص!

وعيّنت الزرافة ناطقًا رسميًا باسم حكومة الحديقة، والكناري مستشارًا لشؤون الدفاع والأمن، والسلحفاة رئيسًا للمجلس الأعلى لخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية!

الحيوان الوحيد الذي يرفض التعليق على أيِّ حدث أو حادث يقع في الحديقة هو "الباندا".. غير أنه خرج مؤخرًا عن صمته الرهيب، وصرّح لوكالة الأنباء الحيوانية الدولية (ZOO) قائلًا: "ليس بالإمكان أفضل مما كان"!

ولمتابعة مجريات مونديال كأس العالم -المقام بعد يوم غد في عدد من الحدائق الألمانية- تم تركيب شاشة عملاقة في قلب الحديقة.. وقد جرى التحفُّظ على الفأر احترازيًا، خوفًا من إقدامه على إتلاف الشاشة!

فالفأر قد أتلف كل ما صادفه من أموال ونقود وأوراق وعقود ومنشآت وسدود.. وبرغم ذلك يُشاع أنه مرشح لحقيبة وزارية هامة في الحكومة المقبلة!

وهناك الغزالة.. غير أنها -للأسف- ترقد حاليًا في غرفة العناية المركزة بمستشفى الحديقة، بعد أن تعرضت مؤخرًا للاغتصاب من قبل الضبع!

وثمة الثعلب.. وهو يتمتع بنفوذ قوي في الحديقة.. وإلى جانب مناصبه العديدة،

حظي مؤخرًا بمنصب رئيس مجلس إدارة مؤسسة الدواجن!

وهناك القرد.. وهو يقضي النهار بطوله في حالة "تنطيط" بين الأشجار والأحجار.. وفي حالة "قهقهة" على كل شاردة وواردة من كلام أو حركة!

وثمة الثعبان.. وهو المسؤول عن شؤون الصحة والعافية في عموم الحديقة!

وهناك الدب. ولأنه يجهل القراءة والكتابة، فقد صار مستشارًا لشؤون التربية والتعليم والثقافة والإعلام والبحث العلمي ووكالة الطاقة الذرية!

أما ذبابة التسي تسي.. فقد ترشّحت لعضوية برلمان الحديقة، ونجحت بأغلبية ساحقة!

● «النداء»، العدد ٥٨، الأربعاء ٧ يونيو ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

هجرة «أبو يمن».. وجزاء «سنمار»!

(أكتب هذه السطور على روح الصديق العزيز والحبيب الجميل، الدكتور أحمد علي البشاري، الذي هاجر هجرته الأخيرة، واغترب غربته الأبدية!)

كثيرٌ قرأ أو سمع حكاية "سنمار".. ذلك المهندس الذي أشاد قصر "الخورنق" العجيب لملك الحيرة "النعمان".. وما لقيهُ من غدر بعد إتمامه بناء القصر.. حين ألقى به الملك من فوق قصره، فسقط جثة هامدة.. ومنذها، ذهب هذا الجزاء الغادر مثالًا سائرًا – في كافة الأصقاع وعلى تعاقب الأجيال، في الثقافة العربية– لنكران الجميل!

ورغم مُضي دهور مديدة على هذا الحادث، إلّا أن الواقع المُعاش –اليوم وكل يوم– حافل بالعديد من الوقائع الشاهدة على نكران الجميل.. بل إن بعض هذه الشواهد صار فيها "سنمار" عدة آلاف، وربما عدة ملايين، وليس رجلًا واحدًا فقط أو بضعة رجال!

مـن الشـواهد على هذا المشـهد: تلكم الصـورة التي يرى فيها المـرء آلافًا من العمال والفنيين والحرفيين والموظفين والمبدعين الخُلصاء يُشيدون أروع آيات الخلق والإبداع في ارض، للأسـف، ليسـت أرضهم.. وبين ليلة وضُحاها يجدون أنفسـهم مطرودين عن هذه الأرض.. وللأسـف، لأنهم لم يسـتوعبوا المثل الدارج القديم الجديد: "لا تَبْنِ في غير أرضك"، والتي أضاف إليها البعض فيما بعد تكملة: "ولا تُرَبِّ غير ولدك"!

منذ أن تهدّم سدّ مأرب -بفعل فارة صغيرة، أو شبكة تخريب، لا فرق!- عرف التاريخ اليمني لأول مرة مفردات الهجرة" و"الغربة" و"الاغتراب".. ودخلت القاموس السيكولوجي للإنسان اليمني، من أوسع صفحاته، شاعر "الحنين إلى الوطن"!

فالهجرة، إذن، دَيْدَنَ الإنسـان في اليمن منذ القِدَم.. منذ أن "تفرّقت أيدي سـبأ".. وَلم تزل تتفرّق، وتهيم على وجهها في الأرض الممتدة ألمًا بلا حدود وحلمًا بلا سدود!

وحـين يهاجـر "أبو يمن" -عكس غيره من أبنـاء المعمورة- فإنه يهاجر عن واعز بالغ الشـدة أو سـبب فادح الإكـراه.. فلا ينتزعه من داره وأهله وربـوع وطنه، ويلقيه أدراج رياح الهجرة في فيافي الاغتراب، سوى ضيم شديد القسوة أو فاقة صعبة الاحتمال أو معضلة فادحة المصاب.

ومنـذ اللحظـة التي عرف فيهـا "أبو يمن" بوابة الهجـرة ودرب الاغتراب، عرف أكثر المشاعر إيلامًا وابلغ الأحاسيس حرقة واشد الهواجس مرارة.

ولم تكن مقولة "الغُربة كُربة" هي أقصى درب تجواله الشـاق وتر حاله الشـائك.. من شرق إفريقيا إلى جنوب شرق آسيا، ومن أمصار أوروبا إلى أصقاع أمريكا.. ومن رمال شبه الجزيرة إلى شواطئ خليج اللؤلؤ والنفط!

فأحيانًـا، تكـون الغربة أكثر مرارة والاغتراب أشـد وطأة داخـل الوطن من خارجه..

وأحيانًا تكون المرارة علقمًا والحرقة ميسمًا حين يلقى المغترب اليمني جزاء "سنمار" بطرده من البلد الذي زرع الأشجار في أراضيه الجرداء وشيّد القصور في صحرائه والبيداء!

إن كل من يلقى مغتربًا يمنيًا في المهجر، يلقى تاريخًا تليدًا من الحزن والشموخ معًا، وملاحم من الشقاء والكد ونزيف الروح والجسد.

"وارحمتاه للغريب في البلد النازح..

ماذا بنفسه صنَعا؟!

فارق أحبابه، فما انتفعوا

بالعيش بعده.. ولا انتفعا"!

ومازلت أذكر قول الفيلسوف اليوناني القديم: "إن أفدح مآسي الحياة أن يموت شيء داخل الإنسان وهو مازال حيًا"!

فهل أسوأ من موت الروح في جسد حي لا يهدأ له عضد ولا يصدأ له عصب؟!

هذا هو حال المغترب اليمني!

هذا الذي أضحى يحمل على كتفيه حقيقة ساطعة، ناضحة بالمرارة، تقول: "الحياة الصعبة لا تسهل بالعملة الصعبة"!

غير أن "بعض الشر أهون من بعض" لدى المهاجر المضطر إلى هجرته، بعد أن ضاقت عليه سبل العيش في وطنه أو أسباب التعايش مع زمنه!

وفي إحدى قصصه -على لسان أحد أبطاله- أشار الأديب الشهيد محمد عبدالولي إلى أن "الوطن هو ذلك الذي تستطيع أن تُغيّر فيه، أن تستنبت فيه أشجارًا جديدة، أن

تمنحه ويمنحك الحب".

أي أن الوطن علاقة حب، لذا "نحن، اليمنيين، مكتوب علينا أن نهاجر.. بلادنا ليست لنا"!

ويكاد اليمني أن يكون كائنًا مهاجرًا من صرخة الوضع إلى لفظة النزع!

ولم يعد في الإمكان غير اتباع قول إمامنا الأكبر وشاعرنا الأقدر "الشافعي" رضي الله عنه:

"تَغرَّبْ عن الأوطانِ في طَلَبِ العُلى
وسافرْ، ففي الأسفارِ خمسُ فوائِد
تفَاريجُ هَمٍ..
واكتسابُ معيشةٍ..
وعلمٌ.. وآدابٌ.. وصحبةُ ماجدِ"

● «النداء»، العدد ٥٩، الأربعاء ١٤ يونيو ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

أحزاب الأنابيب!

.. الأحزاب ظاهرة غير حديثة العهد على المجتمع اليمني الذي عرفها منذ أواخر النصف الأول من القرن الماضي.

ومنذ تلك الفترة جرت مياه كثيرة تحت الجسور السياسية والاجتماعية والفكرية في اليمن، وسالت دماء كثيرة أيضًا تحت وفوق هذه الجسور. وكانت الأحزاب -في كل الأحوال- ليست بعيدة البتة عن مجاري تلك المياه، أو مصادر هذه الدماء، على حدٍّ سواء.

كانت الأحزاب اليمنية -على الدوام- إما مدارس فكر وتنوير، وإما بؤر تحريض وتنوير، وإما منابع كفاح نحو التحرير؛ برغم أن معظمها اتُّهم -في مراحل تاريخية مختلفة- بالعمالة أو الخيانة الوطنية، نظرًا لكونها امتدادًا لأحزاب وتنظيمات، قومية وأممية، خارج الحدود اليمنية. إلّا أن الانتماء إلى

حزب أو تنظيم أو جماعة سياسية كان -في معظم الأحوال- بمثابة شهادة لصاحب هذا الانتماء على طليعيته؛ فأبرز مثقفي الأمة وخيرة شبيبة المجتمع كانوا إما أعضاءً وإما أنصارًا في هذا الحزب أو ذلك التنظيم، برغم اختلاف ظروف هذا الانتماء، بالنظر إلى كون هذا الحزب ناشطًا في الضوء أو ذلك التنظيم كامنًا تحت الأرض.

غير أن من الخصائص التي شكلت ملامح المشهد الحزبي في اليمن -في مراحل متواترة من تاريخه- أن الضربات السياسية والعسكرية التي كانت تتلقاها هذه الأحزاب، لم تكن كلها صادرة عن أنظمة الحكم وأجهزة السلطة، إنما كان بعضها صادرًا عنها ضد بعضها، لا سيما تلك التي شهدها الماركسيون والإخوان المسلمون، أو البعثيون والناصريون، في هذه الحقبة أو تلك من مراحل الحياة السياسية اليمنية قبيل يوم ٢٢ مايو ١٩٩٠، بل وتكررت بعض ملامحها بعد ذلك اليوم!

وبالنظر إلى هذا المشهد، يمكنني القول إن عضد الحياة الحزبية في اليمن بلغ من القوة حدًا قصيًا.. غير أن هذا القول ينطبق على الصعيد الفكري (النظري) أكثر منه على الصعيد السياسي (العملي) بالارتكاز على جملة من الشواهد المادية المتحركة في هذه اللحظة كرمال الربع الخالي وجليد القطب الشمالي.

فحتى هذه اللحظة مازالت الأحزاب ترتكب الأخطاء ذاتها، بل والخطايا عينها، التي سبق لها أن ارتكبتها مرارًا، أو التي لا يجوز لأحزاب عريقة ومُجرِّبة للسلطة والمعارضة معًا أن ترتكبها البتة. والأمثلة على ذلك تتراصّ -يوميًا، وحتى لحظة كتابة هذه السطور- قبالة المواطن البسيط المتابع لمجريات "الحوار" بين الحكم والمعارضة بصدد الاستحقاقات الانتخابية المقبلة، لا سيما انتخاب رئيس الجمهورية!

والمصيبة الفادحة أن هذا المواطن سيكتشف، بعد أيام قليلة، أن المعارضة لم تَدْرِ

بعد ماذا تريد من -وفي- هذه الانتخابات! أو أنها ستجد نفسها -بعد كل هذا الَهرَج والمَرَج- تمنح صوتها لعلي عبدالله صالح أو من يُمثِّل حزبه في انتخابات الرئاسة!

.. ذات يوم، أقدم الرئيس العراقي الراحل عبدالكريم قاسم على مبادرة -لا أدري مدى صحّتها العملية من ناحيته- بتسليم زمام أمور الحكم لقيادة الحزب الشيوعي في بلده، غير أن الرّد على هذه المبادرة جاءه صاعقًا من قيادة ذلك الحزب: "ماكو أوامر..."!.. والمقصود: "ماكو أوامر" من المرجعية "الأممية" للحزب!

وأتمنى على الرئيس علي عبدالله صالح أن يتمثّل موقف الرئيس عبدالكريم قاسم فيبادر المبادرة ذاتها.. فلعمري سيكتشف -ونكتشف جميعًا حينها- إن أحزابنا (في الحكم والمعارضة معًا) ليست سوى... أحزاب أنابيب!

● «النداء»، العدد ٦٠، الأربعاء ٢١ يونيو ٢٠٠٦

حسـن عبدالـوارث

طُز. دُوت. كُـوم!

مـن ذا الذي اسـتطاع أن ينجـو بذهنه من ثورة التدفـق الهائل للمعلومـات، التي صارت أكثر ثورات العصر جبروتًا، وسـتصير أكثر ثورات المستقبل عنفوانًا؟!

إن الجواب: لا أحد عاقلًا!

إننا في خضم أكبر وأخطر وأعظم وأفدح انفجـار للمعلومـات شـهده العالم وعايشـته البشرية حتى هذه اللحظة. وكل ذي لُب وبصيرة يدرك، أيما إدراك، أن هذا البركان مستمر في قذف حممـه يومًـا إثر يوم، إلى ما شـاء الله لـه الاندلاع والاندفاع!

على هذا الأساس، جاء إدراك العالم المتقدم والمتحضر (أي العالـم القائم خارج حـدود الوطن العربي من المحيط المطيـط، إلى الخليج الغويط، لبّيك عبد الخريط!) لضرورة أن يكون الكمبيوتر في متناول كل "بني آدم"، وأن تكون خدمة المعلومات العولمية (الإنترنت)

وجبة يومية ضرورية في كل بيت.

يؤكد "د. لوري روزاكيس" أن عصرًا سابقًا على هذا العصر الذي نعيشه اليوم "لم يشهد مثل هذا الكم من البيانات والتقارير والتفاصيل والأمثلة والآراء والإحصاءات والأرقام التي نشاهدها يوميًا. والمؤمنون بالمستقبل متأكدون أن هذه الموجة العارمة من المعلومات سوف تزداد".

وهو يدلِّل على اعتقاده هذا بالحقائق التالية:

- الطبعة الواحدة من صحيفة "نيويورك تايمز" تحتوي على معلومات تفوق ما تعلّمه شخص في القرن السادس عشر طوال حياته.

- يصدر خمسون ألف كتاب في الولايات المتحدة سنويًا.

- يصدر سبعة آلاف كتاب ودراسة علمية، يوميًا في جميع أنحاء العالم.

- صدرت في الخمسين عامًا الماضية كمية من المعلومات تفوق ما صدر في الخمسة آلاف عام الماضية.

- اليوم تتضاعف كمية المعلومات المتاحة كل خمس سنوات.

- بحلول عام ٢٠٠٥م صارت كمية المعلومات المتاحة ضعف ما كانت عليه في العام الذي سبقه.

وكشف الدكتور "لوري روزاكيس" أن مكتبة الكونجرس الهائلة لم تعد تستطيع أن تستوعب هذا الكم الهائل من المعلومات! بالرغم من أن هذه المكتبة تحوي الآن مائة مليون كتاب وعدة ملايين من الوثائق، وبرغم أنها لجأت مؤخرًا إلى استخدام نظام رقمي دقيق للتعامل مع التدفق الهائل للمعلومات والبيانات!

يتـم إنتاج المعلومات بسـرعة هائلة، حتى أن أجهـزة الكمبيوتر والمتخصصين فيها والمهندسين والباحثين والعلماء سوف يضطرون لإعادة تطوير التعليم كل عشر سنوات، ويُحتمـل أن يجـد العاملـون في أحدث ما وصلـت إليه التكنولوجيا أنفسـهم في موقع متأخر بزمن لا يقل عن خمس سنوات، ولا استثناء لأحد من هذا المصير، فعندما تحصل على الشهادة الجامعية وتطمئن إلى قدراتك، تكون قد أصبحت جزءًا من الماضي!

هـذا مـا يخلص إليه "روز اكيس" في دراسـة له بهذا الخصـوص صدرت مؤخرًا في الولايات المتحدة.

وتثبت الدراسة أن الفرد العادي، في أي مجال من مجالات العمل، سوف يضطر إلى قراءة أربعة ملايين كلمة شهريًا على الأقل، أي نحو خمسين مليون كلمة سنويًا.

فمـاذا أقرأ أنا؟! ومـاذا تقرأ أنت عزيزي القارئ؟! وكم عـدد اليمنيين الذين يمتلكون جهاز كمبيوتر شخصيًا، ويتعاملون مع خدمة "الإنترنت"؟! ومقدار إفادة هؤلاء وسواهم من هذا وتلك؟!

إن سـؤال تقنيـة المعلومات هو أكثر الأسـئلة إلحاحًا اليـوم، فما هي قدرة "أبو يمن" على الإجابة على هذا السؤال؟!

لا شك في أن الإجابة الشافية الكافية الوافية على هذا السؤال سنجدها على الموقع الإلكتروني الأكثر شيوعًا في اليمن: "طُز. دُوت. كُوم"!

● «النـداء»، العـدد ٦١، الأربعـاء ٢٨ يونيـو ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

صباح البؤس.. مساء النكد!

إذا توقف طموح المرء عن الخفقان، أو ذبلت وردة حلمه، أو انطفأت فيه جذوة الأمل، فقد مات المرء ذاته. وليس بالضرورة أن يكون الموت "بيولوجيًا" دائمًا..

وذات ليلة شتائية كئيبة، قال فيلسوف إغريقي -نسيتُ اسمه ورقم موبايله- إن أفدح مآسي الحياة، أن يموت شيء داخل الإنسان، فيما لايزال حيًا!

لي صديق مُتجهّم، لخمسٍ وعشرين ساعة في اليوم.. البؤس كأسه، واليأس لباسه، والعبوس تاج رأسه. كلما أبديتُ في حضرته شعورًا بالتفاؤل، أو ألقيتُ على مسامعه كلامًا ملؤهُ الأمل؛ نظر إليّ شزرًا وأردفها بعبارة تكسف الشمس وتخسف القمر وتُحيل النجمة فحمة!

إذا أسمعتَهُ أغنية سعاد حسني: "الدنيا ربيع والجو بديع"؛ أسمعكَ أغنية فريد الأطرش: "أنا عمرُ بلا شباب وحياةٌ بلا ربيع"!

وإذا ردّدتَ له مُعلّقة عمرو بن كلثوم، ردّها عليكَ بيتيمة الحُطيئة. وإذا قلت له: صباح الفل، ردّ عليك قائلًا: عظّمَ الله أجر الجميع!

ذات صباح مُشمس، في أرقى شوارع باريس، راح صاحبي يكتب مقالة عن الانهيار الوشيك للمجتمع الغربي، لأن الرأسمالية على وشك أن تحفر قبرها بيديها، وأن البؤس المطلق هو مصير المواطن الأوروبي!

بعد عشرين سنة، إلّا بضعة شهور، لقيتُ صاحبي يشتري ربطة قات رخيصة -نوعًا وثمنًا- من سوق الصافية في صنعاء، ويرمي ما تلف من أوراقها على قارعة طريق في غاية البؤس!

ولي زميل صديق اشتهر في أوساط الزملاء الأصدقاء بأنه "لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب". وبالرغم من أن الأستاذ الفذ إسحاق نيوتن أثبت قديمًا أن ألوان الطيف السبعة إذا ما امتزجت، فإن لونًا واحدًا ينتج عن هذا المزيج، هو اللون الأبيض؛ غير أن صاحبي يُقسم بأغلظ الأيمان أن نيوتن على خطأ مبين، وأن اللون الناتج عن هذا المزيج هو: الأسود!

وقد أطلق أحد الأصدقاء نكتةً "سوداء" زعم فيها أن رب العالمين سيُدخل صاحبنا هذا الجنة؛ غير أنه -أستغفر الله- سيرفضها، مُفضّلًا عليها الجحيم!

وثمة صديق مرعوب من كل ما له علاقة بالأمن إلى حد الهوس.

وقد عرّفتهُ يومًا إلى صديق آخر قائلًا: "فلان الفلاني.. عقيد في الأمن السياسي".. فلم يُرِني بعدها وجهه لعدة أشهر!

وذات يوم كنتُ أتحدث مع بعض الزملاء -في وجوده- حول قضايا متصلة بالشأن الاقتصادي، وقال أحد الزملاء ما مفاده أن "الأمن الغذائي" بات مشكلة باعثة على القلق.. فإذا بصاحبنا ينتفض عن كرسيه صارخًا بغضب ساخط: ألا يكفي الأمن السياسي حتى تضيفوا إليه الأمن الغذائي؟!

إن عديدًا من الناس تنطبق على حالهم الطرفة الساخرة التي تقول "إن متهمًا بجريمة قتل، حُكِمَ عليه بالبراءة.. فطلب استئناف الحكم"!

● «النداء»، العدد ٦٢، الأربعاء ٥ يوليو ٢٠٠٦

رسائل من زمن آتٍ

حسـن عبدالـوارث

الركـن الرابـع

تختلـف النظريات والمناهـج والقوانين المتصلة بالسياسة، من بلد إلى آخر، ومن أمد إلى آخر.. وهي عرضة -دائمًا- إلى التعديل والتبديل، بحسـب جملة من المقتضيات التـي تُحتِّمهـا الظـروف التاريخيـة أو الأحداث النوعية..

غيـر أن الديمقراطية تبقـى -على الدوام- المحـك الأسـاس أو المحـرك الرئيس فـي مجمل التناقضـات والصراعـات أو حـالات الجـدل والخـلاف التـي تشـهدها السـاحة السياسـية في أي زمـان ومـكان.. وبالتالـي تكـون تلـك النظريـات والمناهج والقوانين -ذات الشأن السياسي- مرتكزة في أطروحاتها وتعديلاتها وجدلها على مسـألة واحدة هي: الموقف من الديمقراطية..

وبحسب أساطين الفكر السياسي، فإن أركان الديمقراطية أربعة وهي:

أولًا: حرية الرأي.. وهذه تتجسد في الصحافة والمنابر أو المنتديات العلنية.

ثانيًا: حرية التنظيم.. وهذه تتجلّى في الأحزاب والنقابات وغيرها من مؤسسات المجتمع المدني.

ثالثًا: التداول السلمي للسلطة.. وهذا لا يكون إلّا في إقامة انتخابات حرة وتنافسية ومباشرة، بغض النظر عن صغر أو كبر الموقع السياسي -أو غير السياسي- الذي تُقام هذه الانتخابات من اجل تحقيق عملية التداول بصدده.

أما رابعًا -وهو الأهم- فاستقلال القضاء.. وهو مربط الفرس في هذا المقام -المقال.

أذكر طُرفة "درامية" تُحكى في كل زمان ومكان، عن مستثمر قدم إلى بلاد ما، فسأل عن جوانب الحياة في هذه البلاد، سياسية وأمنية واجتماعية وثقافية.. فكانت الأجوبة كلها تصب في المنحى السالب..

فقال: لا يهم.. ولكن ماذا بشأن القضاء في هذا البلد، هل هو عادل ومستقل؟!

وحين قيل له "ليس كذلك البتة"... عاد أدراجه!

أي أن استقلال القضاء هو حجر الزاوية في استقرار أية دولة وأي مجتمع، بغض النظر عن جملة الشروط والظروف الأخرى.

وإذا كان الركن الرابع (استقلال القضاء) هو أقوى الشروط والظروف للتنمية الاقتصادية والازدهار الاستثماري، بحسب ما عرفنا من واقعة ذلك المستثمر.. فإنه -في الوقت ذاته- من أهم مقومات الاستقرار الاجتماعي والاستتباب الأمني أيضًا.. وللتدليل على ذلك علينا أن نجول في ظاهرة الثأر التي لم تكن لتستشري في المجتمع اليمني

-وفي أي مجتمع سواه- لو فُرضت هيبة الدولة عن طريق فرض هيبة القضاء..

فالجميع يعترف بأن تمييع قضايا القتل أو تمديد فترات التقاضي فيها، بالإضافة إلى وجود الفساد في بعض مفاصل المؤسسة القضائية، تعد من الأسباب الرئيسية والمباشرة وراء تفاقم ظاهرة الثأر، وبالتالي انتكاس جميع المحاولات الرامية إلى استئصالها أو حتى محاصرتها..

فمن دون قضاء مستقل أولًا، وعادل ثانيًا، لن يستتب أمن اجتماعي أو يسود سلام أهلي.

● «النداء»، العدد ٦٣، الأربعاء ١٢ يوليو ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

لستَ سليلَ خطيئتهم...

.. إن قُلْتها قد تفقد كثيرًا من رماد الأرض، وزَبَد البحر، وصديد "الأعداء"..

إن قُلْتها قد تنهال عليك اللعنات، والطعنات، وضفادع المستنقعات..

إن قُلْتها قد تخسر بعض أوراق المال، أو الكوتشينة، أو الكلينكس..

إن قُلْتها قد...

... فَقُلها.

.. لستَ شريكًا في أحابيلهم.. فَدَعْهمُ يلفُونها حول أعناقهم المتورِّمة..

لستَ طرفًا في مؤامراتهم.. فليأكلوا – وحدهم– جيفة مِيْتَتِهم..

لستَ سليل خطيئتهم.. فَلْيَسْتَجْدوا –بعيدًا عنك– فطيرة المغفرة..

في كل الأحوال... أنت المتهم...

وفي كل الأحوال... هم المُدانون!

.. أنت -أنت... وهم- غيرهم...

لم تكن -يومًا- آخرَ... وكانوا -دائمًا- حالة استنساخ مشوّهة ومتكررة..

كنت تكرع كأس البراءة حتى الثمالة.. وكانوا ينهشون -بالشوكة والسكين- تفاحة الخطيئة..

لا الصدق أنتصرَ لك.. ولا الكبرياء الجميل غفرَ لك.. وعلّقوا دَنَسهم عليك..

ظللتَ تُرقِّع أسمال عوراتهم..

وظلوا يُخيطون كفناً يُدثِّرك!

.. اللعبة لعبتهم، والملعب.. وهم -وحدهم- اللاعبون والحَكَم.. فلا تكن بينهم.. ولا في زمرة المتفرجين..

ستنتهي الأشواط كلها.. ويتساقط اللاعبون.. ويتهدّم الملعب.. وتعْلَن النتيجة: صفر/ صفر..

سيَنْفَضُّ الجميع من حولهم.. ويقذفون على رؤوسهم الحجارة، والكلمات النابية، والبيض الفاسد..

حينها.. قُمْ إليهم، وضَمِّدْ جراحهم، وواسِهِمْ.. ثم ابصقْها في وجوههم.. وامْضِ وحيدًا، بعيدًا..

لك الله... ولهم الشيطان!

.. زارني "زوربا" البارحة.. أيقظني من صحوي، وهَدْهَدَ في صدري خضرة الحلم، وفي رأسي أربكَ جمرة الفكرة..

وقال لي: قُل معي "ليحفظكَ الله، أيها الرئيس، من مؤخرات البغال.. ومن مقدمات الرهبان"!

● «النداء»، العدد ٦٤، الأربعاء ١٩ يوليو ٢٠٠٦

حسـن عبدالـوارث

دولـة الطيـف!

.. منـذ اللحظـات الأولـى لقيامهـا في ٢ ديسمبر ١٩٧١، لم تكف دولة الإمارات العربية المتحـدة عن المضي قدمًا في درب البناء على أسـس مدنية حديثة وقواعد عصريـة حداثيـة، تهدف إلى رخاء الإنسان وأمانه واستقراره وتطوره. وقد ثَبُتَ –في هذا المضمار، وبالدليل القاطع والملموس– أن الإنسـان، في هذه الدولة، هو هدف التنمية ووسيلتها حقًا.

إننـي أكتب –هنا– كزائر للإمـارات غير مرة، شـاهدتُ وعرفتُ خلالها عن كثب الكثير من ملامح التطور والنمو والرقي في هذه الدولة الفتية، على كافة الأصعـدة، مما لم تسـتطع تحقيقه بلاد عديدة اسـتقلت وتحررت منذ عقود مديدة.. ومما أدركته –في هذا الصدد– أن الثروة وحدها ليست

كافيــة لتحقيق عوامل التطور والرخاء فــي أي مجتمع، من دون أن تصطحب هذه الثروة قيادة حكيمة وإدارة ســليمة لهذه الثروة، بل وللثروة الأعظم وهي الإنسان، وهو ما يتجلى بوضوح في تجربة دولة الإمارات.

وقد كتبتُ غير مرة: إنني معجب حدّ الوله بتجربة الوحدة في ظل التنوع، أو التعدد في إطار التوحد، التي أرستها هذه الدولة، وباتت مصدر نعمة لأبنائها.. فقد وجدتُ فيها وحدة حقيقية، غير آيلة إلى تشطير، أو قابلة لتفتيت، لأنها وحدة منسوجة بكل ألــوان الطيف ولكن بخيط واحد متين.. وهي وحدة قائمــة على التكامل والتكافل، ومسنودة بحكمة غير محدودة في القيادة وتأييد غير منقطع في القاعدة.

وعدا مشــاهداتي الشــخصية، فإن لي من الأصدقاء والزملاء اليمنيين والعرب المقيمــين في دولة الإمارات ما يُمثِّل لي زادًا لا ينضب من الانطباعات والملاحظات التــي تصب جميعها في مجرى واحد هو الإشــادة اللامتناهية بالنظام القائم في هذه الدولة على كل المستويات وفي جميع المجالات، عدا شعور المقيم في هذا البلد بالشــعور ذاته لدى المواطن من الأمان والاســتقرار والاطمئنان على حياته وأهله وماله ومستقبله.

إن أمجاد الشعوب أو المجتمعات لا تُقاس بعمر هذه الشعوب في التاريخ أو غنى تلك المجتمعات بالثروات.. إنما الإنجازات على أرض الواقع وفي حياة الإنسان هي المقياس الأمثل.. وهذا ما ينطبق تمامًا على دولة الإمارات ومواطنيها.

واليوم، غدت لهذه الدولة مكانة مرموقة في العوالم العربية والإسلامية والدولية،

لا سيما أنه كانت لمؤسسها مبادرات متقدمة ومواقف متميزة تجاه عدد من القضايا المصيرية، خصوصًا القضية الفلسطينية ووحدة الصف العربي..

وهو ما دعا الأوساط السياسية والفكرية العربية إلى إطلاق نعوت من قبيل "الحكيم" و"الحليم" على شخص الشيخ زايد.

وفي مقابل ذلك، بات المواطن الإماراتي يحظى باحترام وتقدير بالغين لدى مختلف الشعوب، لأن دولته وقيادته حفظت له عزّته وكرامته قبل أن تحفظ له ثروته. والوطن الأمثل هو ذلك الذي يشعر فيه المواطن بأن كرامته موفورة وعزّته محفوظة، حتى لو كان يقبع في أدنى درك الفقر والعوز والحرمان!

● «النداء»، العدد ٦٥، الأربعاء ٢٦ يوليو ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

حيَّ على خير الوطن..

سنُقيم الصلاة ونؤدِّيها جماعة.. تحت قُبّة الجامع، أو في فناء الجامعة.. تحت ظلال الشجر، أو على نصل الحجر.. المهم أن نُقيمها، وان نُؤدِّيها..

وسنتوجّه بقلوبنا وعقولنا خاشعين، شطر البيت الحرام، لا البيت الأسود، حيث قِبْلتنا إلى يوم الدين.. ولن ندع ذلك المتحاذق يسخر منا بقوله:

"قُمْ وصَلِّ نحو قُمْ

أو إلى نجدٍ وضُمْ

وارتزقْ من ذا وذا

ثُمّ عِدْهُمْ بنُقُمْ"!

لقد وحّد الله عباده على كلمته العليا وعلى معيار التقوى، ولم يضع معيارًا للون أو الجنس أو العرق.. ولا جعل مسلمًا "أصليًا" وآخر "تايوانيًا"..

ولا جاء في الكتاب والسُّنة أن خريج معهد باذيب ملحد، وخريج معهد الميثاق مرتد، وخريج جامعة الإيمان ينضح إيمانًا..

أو أن من صلى وراء صاحب عمامة إلى الجنة، ومن سجد خلف صاحب "جينز" إلى سقر، ومن ركع خلف صاحب "كرافتة" منزلة بين المنزلتين!

إن اختلاف أُمّة محمد رحمة.. غير أن تناحرهم نقمة.. ومن أفدح أسباب هذا التناحر: تقسيم المسلمين إلى طبقات، وتصنيف المؤمنين في فئات..

فإذا بنا قد "تشابه البقر علينا".. وإذا بنا نتحدث عن دين غريب على الإسلام، وعن عبادات ومعاملات غريبة عن أُمّة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام..

إن أهل اللغات السامية التسع، وغير السامية التسع والتسعين، لم يتوحّدوا في لسان ولا في بيان ولا في كيان، غير أنهم توحّدوا على رسالات الأديان.. وكان الإسلام الخاتمة، وكان أحمد الخاتم..

الفتنة نائمة.. الفتنة نائمة.. الفتنة نائمة.. لعن الله من أيقظها.

● «النداء»، العدد ٦٦، الأربعاء ٢ أغسطس ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

الميكروفون.. أفيون الشعب!

■ في الأسبوع الماضي، حلّت بالرئيس الكوبي فيدل كاسترو أزمة صحية بدا واضحًا أنها شديدة الوطأة، ما دعاه إلى تفويض أخيه (راؤول) سلطاته كلها. في حين تردّدت شائعات في (هافانا) عن احتمال إصابة الثائر القديم بمرض عضال قد لا يعود بعده إلى سدّة الحكم ثانيةً!.. ولعل ذلك ما دعا الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى التعجيل بالدعوة لتشكيل حكومة انتقالية في هافانا، عارضًا دعمًا كاملًا لمن يسعى من الكوبيين إلى القيام بهذه الخطوة!

والزعيم الكوبي الكهل هو آخر العتاة الكبار في الساحة السياسة الدولية.. وقد كانت حياته سلسلة من الأحداث والحوادث التي كان معظمها موغلًا في الدرامية إلى حدّ التراجيديا.. وخلالها تخَلّص من

أقرب رفاقه، وتخَلّص منه أقرب أقاربه (زوجته وابنته) وظل أخوه (راؤول) إلى قربه حتى هذه اللحظة، شقيقًا ورفيقًا وصديقًا ومعاونًا أمينًا.

ولـــم يتعرض زعيم إلى محاولات الانقـــلاب والاغتيال بتلك الكمية والنوعية التي عرفها فيدل.. وكانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تتفنّن دائمًا في مؤامراتها ضده، غير أن الفشـــل كان رديفًا لازمًا لكل تلك المؤامرات.. فلا الثياب المسمومة، ولا السجائر الملغومة، ولا غيرها من الوسائل والأساليب والأدوات أَجْدَتْ يومًا.

وخارج نطاق الثورة والسياسة، يعشق كاسترو السيجار الكوبي الفاخر والنساء الصغيرات الجميلات. غير أنه يعشـــق الخطابة والكلام أكثر من أيّ شيء آخر!.. وقـــد كانت خطبه -بكل مناســـبة وبغيرها- تتجاوز الســـاعات الخمس في معظم الأحوال.

غير أن صاحب ملاحم: المونكادا والســـييرا مايســـترا وخليج الخنازير، أدرك -مؤخرًا، ومتأخرًا- أن المزاج الشـــعبي -ليس فـــي كوبا وحدها، وإنما في جميع بـــلاد العالم- لم يعد متناغمًا مع الموجات الطويلة في الكلام، وبالذات مع خطابات الزعماء والحكام، التي ينبغي أن تكون مرسلة على الموجة الشعبية القصيرة.

هـــذا ما أدركه الزعيم الكوبي، فشـــعبه لم يعد يطيق الوقـــوف، أو حتى القعود -لســـماع خطابه الاحتفالي السنوي، بمناســـبة ذكرى الثورة الكوبية التي أطاحت بنظام باتيستا العتيد- لعدة ساعات متواصلة؛ ما دعاه إلى اختزال المساحة الزمنية لخطابه "التاريخي" من خمس ساعات إلى.. نصف ساعة!

وعلّق فيدل على هذا الإجراء "الاستثنائي" بقوله: "إن وسائل الإعلام العالمية باتت تضع الحقائق كاملةً أمام الكوبيين والعالم أجمع".. أي أن خطابه –في هكذا حال– لن يأتي بجديد أو مفيد.

وكان الرفيق ليونيد بريجنيف يقف متحدثًا –لا سيما في المناسبات الكبرى– لساعات وساعات، دون أن يرف له جفن أو يجف له عصب.. وكان مستمعوه أسوأ حالًا منه وأكثر بعثًا على الشفقة.. غير أنه اكتشف –متأخرًا– أنه كان طوال عهده المديد، يقرأ خطابًا مؤلفًا من صفحة واحدة فقط.. لكنه منسوخ في مائة نسخة!

● «النداء»، العدد ٦٧، الأربعاء ٩ أغسطس ٢٠٠٦

حسـن عبدالـوارث

أَعـراب.. وإِعـراب.. وبينهمـا حكومـة!

قـرأتُ عشـرات الكتب في علـوم اللغـة العربية وفنونهـا وآدابها، قديمهـا وحديثها، فلم أجد أية إشارة، ولو طفيفة، بين النحو... والسياسة!

وبحثتُ في عشـرات المراجع والمصادر والمناهـج، فلم أَنَلْ دليلًا واحـدًا، ولو واهن القرينـة، علـى وجود أدنـى صلة بـين قواعد اللغة العربية وسياسات الحكومات العربية!

لكننـي أقـرأ كتاب الواقع فأعثر، بشـكل قاطع، على صورة هذه العلاقة.. وأُطالع وجه الشارع فأجد تلك الصلة على نحو ساطع!

وأعودُ إلى نفسي فأسأل بكل السذاجة المحتشدة في رأسي: هل درست الحكومات العربية قواعد اللغة العربية لتمارس تطبيقها على الشعوب العربية؟!

مـن بين كل الحركات، عشـقتْ هذه الحكومات حركة "الرفع".. لـذا فإننا نجدها ترفع

الأسعار والضرائب.. والدعم أيضًا!

ولأن علامة الرفع هي "الضّمة" فإن هذه الحكومات تضم كل ما للمواطن إليها.. ولا يهم حينها إنْ كانت هذه الحكومات "تضم" في صلاتها أو تُسَرْبِل!

وحاشا لله أن تعمد هذه الحكومات إلى "النصب" فهي ليست نصّابة!.. أو إلى "الجر" فهي ليست جائرة ولا جرّارة!.. أو إلى "السكون" فهي تعمل ليلًا ونهارًا ولا تعرف السكون!

والحكومة في البلاد العربية "فاعل".. والفاعل دائمًا "مرفوع" على كل شيء.. ولذا فإن المواطن العربي "مفعول به" على الدوام.. والمفعول به "منصوب" عليه دائمًا.. أما أداة النصب، هنا، فهي "الفتحة" الظاهرة في جيب هذا المواطن طوال الشهر!

وفي هذه الحالة، تكون الأسعار صرف حرف جر، والموظف الغلبان مجرورًا في كل الأحوال.. أما الراتب فهو "فعل ناقص" على طول الخط!

ثمة سؤال أحمق: إذا كان هذا ما استفادته الحكومات العربية من دراسة علم النحو.. فماذا تراها تفعل بنا بعد دراستها علم العروض؟!

وهذا العلم -كما يعرف القارئ وأنا- يقوم أساسًا على... "التقطيع"!

● «النداء»، العدد ٦٨، الأربعاء ١٦ أغسطس ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

الوشاح الجديد!

الوحدة

الوشاح الجديد!

جَزّ "الوشاح" بسيفه النضّاح المئات من الأعناق، بينها أعناق عدد من خيرة أبناء هذا الشعب، من مناضليه ومثقفيه وطلائعه الثورية الذين نقشوا أولى بشارات الفجر على جدار الليل.

غير أن هذا "الوشاح" (سيّاف الإمام أحمد الأشهر من فرس الإمام شخصيًا!) لم يكن ليتصوّر يومًا أن نهايته المأساوية ستكون بسيف يجز عنقه، وفي الساحة ذاتها التي شهدت سيفه يبتر رؤوس الثوار الأحرار والعلماء الأبرار والفقهاء الأطهار.

إنّ السيوفَ على أشكالها تقعُ...

وفي اللحظة التي تدحرج فيها رأس "الوشاح" بسيف أحد زملائه، في ذلك اليوم من العام ١٩٥٦م، كانت الإشارة

رسائل من زمن آتٍ

واضحــة إلــى نهاية من يملك ســيف "الوشــاح" ويوجهه لضرب أعنــاق أنبل ما في هذه الأُمة.

وببزوغ شمس ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م شَبّ العنق اليماني عن السيف الوشاحي والحيف الإمامي، وبات لازمًا محتمًا أن الرؤوس النّيّرة لا تكون وجبة للسيوف ولا هدفًا للقطوف؛ إنما -وبالحق- تُقطع أعناق الطغاة وتقطف رؤوس الجبابرة.

وإذا كان عهد قطع الرؤوس قد ولى؛ فإن عهد نبش الرؤوس -بل والقلوب والضمائر- مازال قائمًا بيننا، ولعمري إن سيوف التكفير والتخوين والإرهاب (الفكري والجسدي) أشدّ شحذًا وأمضى حدًا من سيف "الوشاح" بألف ألف مرة.

إنّ اللســان ســيف، وإنّ البنان ســيف، وإنّ البيان ســيف، وإن الفتوى، من جاهل أو حاقد أو أفّاق، لَهيَ أسفك السيوف على الإطلاق!

فيفا.. بابلو

"كثيرون قد نَسوا..

كثيرون قد ماتوا..

أما أنا...

فَلَمْ أَنْسَ،

ولم أَمُتْ".

بهــذه الأبيــات صَدَحَ "بابلو نيــرودا" في وجه الجبروت الأعظــم. وبمثل هذه الأبيات بنــى "بابلــو" مجده الشــعري وخلوده الإنســاني، برغــم مرور آلاف الويــلات والحروب والعاهات والفاقات على سِكّة قطار الزمن ودروب الشعوب في كل بقاع العالم.

واليوم.. ثمة كثيرون يُطالبون برقبة "بينوشيه" قصاصًا حقًا. غير أن طَلَبة "نيرودا" لا يبتغون سوى نُسَخٍ إضافية من دواوينه أو مذكراته..

وإذا ما جاء ذِكْر "سلفادور الليندي" فإنّ علاقته الحميمة بالشاعر العظيم، تُحيله من خانة الرؤساء المُغتالين، إلى حالة الأحلام الجميلة المقتولة أو المشاريع العظمى الموعودة!

كم من الشعراء العظماء -تُرى- يطبخون خبز مجدهم ويرصفون شوارع خلودهم بأبيات ترسم طريق الأمل والعزيمة لشعوب بأكملها، وتنفحها إكسير الإصرار على أن تملك ذاكرة تفوق حجم العالم وتتجاوز محنة الكون وتبلغ ذروة الخلود؟!

● «النداء»، العدد ٦٩، الأربعاء ٢٣ أغسطس ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

يا عزيزي.. كلنا عملاء!

ظَنّ أحدهم أنه يُثيرني أو يضيرني عندما يتهمني بـ"العمالة".. وقد راح يُلصق بي العمالة لإسرائيل وجيبوتي معًا، وللسلطة والمعارضة في آن، وللشيوعيين و"الإخوان" في الوقت ذاته!

ولم أجد قولًا غير الدعاء له بالاهتداء إلى أن "الدين: المعاملة" لا العمالة واتهام الآخرين بها.

بالمناسبة، كلنا -في هذه البلاد- عملاء!

والفرق -الوحيد- بين "عميل" وآخر، فينا، هو فرق شفيف ورهيف وطفيف للغاية..

فأكثرنا ذكاءً وجسارة ومهارة هو ذاك الذي "يتعامل" مع جهة أجنبية من منطلق ضار بالذات أو الواقع. وثمرة تعامله هذا "عُمْلَة".. صعبة على الآخر: الأقل -وربما الأعدم- ذكاءً وجسارة ومهارة!

وهذا الآخر (الذي يُشكل الاغلبية الساحقة –بل المسحوقة– في التعداد العام للسكان) هو الذي "يتعامل" مع جهة محلية جدًا، وبدون عملة، بل بالآجل الذي لا يُنْقَد قَط!

ولا يتعدى نطاق هذه الجهة المحلية جدًا أقرب محل بقالة لدار "العميل" الخائب، بشرط أن يكون مالك هذا المحل ساذجًا إلى حدٍّ كافٍ لقبوله "التعامل" مع عدد هائل من "العملاء" دائمي الاستدانة من دون وفاء محتمل بالسّداد!

وأن مداهمة فجائية للبوليس السياسي لبعض محلات البقالة –في أية مدينة في البلاد– كافية لضبط الأدلة القاطعة والقرائن الدامغة على "عمالة" ثلاثة أرباع (وربما أربعة أثلاث) السكان.. إذْ تكفي، حين المداهمة، قراءة سريعة لقوائم وحسابات "العملاء" المتوافرة بالطبع في كل محل بقالة في هذه البلاد (المعمول لها عمل)!

أريد حلًا

قال "الإصلاحيون": إن الإسلام هو الحل..

وقال "الليبراليون": إن الديمقراطية هي الحل..

وقال "الاشتراكيون": إن المصالحة هي الحل..

وقال "المؤتمريون": إن الخصخصة هي الحل..

وقال "الحواريون": إن (الوثيقة) هي الحل..

وقال "الجواريون": إن الترسيم هو الحل..

وقال "الموجيون": إن الانفصال هو الحل..

وقال "الجهاديون": إن الحرب هي الحل..

وقال "الموالعة": إن (المثاني) هو الحل..

وقال "الملابعة": إن (المفرق) هو الحل..

وقال "الماورائيون": إن (أبا معشر) هو الحل..

وقال "الماتحتيون": إن الحبة السوداء هي الحل..

وقال "اللطاشون": إن الفساد هو الحل..

وقال " البطاشون": إن المخابرات هي الحل..

وقال "الحشاشون": إن الخشخاش هو الحل..

وقال "القرفانون": إن الهجرة هي الحل..

وقال "التوتاليتاريون": إن التأميم هو الحل..

وقال "البروليتاريون": إن الانتفاضة هي الحل..

وقال "الوثنيون": إن (التابو) هو الحل..

وقال "البراجماتيون": إن ميكيافيللي هو الحل..

وقال "الرومانسيون": إن الحب هو الحل..

وقال "الماركسيون": إن (رأس المال) هو الحل..

وقال "الغفاريون": إن الثورة هي الحل..

وقال "الهفتانون": إن السلتة هي الحل..

وقال "العشائريون": إن النخيط هو الحل..

وقال "الطبالون": إن (فيفي) هي الحل..

وقال "الدجالون": إن الجان هو الحل..

وقال "المهرجانيون": إن البَرَع هو الحل..

وقال "المنجمون": إن أمريكا هي الحل..

وقال "العقلانيون": إن الجنون هو الحل..

.. وأنا أميل إلى تأييد الرأي الأخير!

● «النداء»، العدد ٧٠، الأربعاء ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦

حسـن عبدالـوارث

طريـق الخمـور!

كانت لليمن، في سالف الدهور وغابر العصور، طرق تجاريـة عديـدة، كطريـق اللبان أو البهـار أو الحرير أو البخـور.. بـاد جميعها، وبقيـتْ طريق واحدة – بحرية– هي: طريق الخمور!

وجـاء فـي أخبـار البائديـن من أهـل اليمن البائـدة.. أن هـذه الطريـق كانـت بتجـارة القوارير سائدة.. فيما المخدرات راحلة عنها وعائدة.. وكانت سواحل المخا وذباب بذلك شاهدة!

وتحكـي النقـوش أن هـذه الطريـق قُطعتْ، ذات زمن، بأيدي الدناكل.. وحينها انشـق القلـزم عن حنـش ينفث سـموم المشـاكل.. ومنذها لم تَطبْ لليمانين مشارب ولم تَلذْ مآكل!

وأوردت الأَضابيـر العتيقـة أن ذلك الزّمان واليمان شـهدا بوار تجارة الويسـكي المغشـوش.. ورواج صناعة البلدي الفاشـوش.. وقد صار السكارى حيارى،

ينعتون أفورقي بقراقوش!

وأفادت دراسة علمية، لباحث وأستاذ جامعي من أهل ذاك البلد وذلك الأمد، يدعى الدكتور حمود العودي، بأن المجتمع شهد خلال تلك الحقبة، مُنْكَرًا تهتزُّ له الصافية وترتج له الحصبة!

فقالت الدراسة إن ذاك المجتمع شهد حينها "انتشار تعاطي الخمور بشكل جنوني ومَرَضي، حيث تفيد التقارير الدولية أن اليمن في الآونة الأخيرة تعتبر من الدول ذات الأرقام القياسية في تعاطي الكحول، المهرب إليها عن طريق جيبوتي وغيرها، بالإضافة إلى تفشي السبرتو والكولونيا وأنواع الصناعات المحلية الملوثة"!

وقد عثر الآثاريون على نقوش تحكي عن تلك المدة.. في بعض ضواحي باب اليمن وعصِر وحَدّة.. حملت نصوصًا، من ذلك الوقت، شعرية.. تصف أحوَال البلاد والعباد إبان الطفرة الخمرية.. كتبها شاعر موصوم بالشطرية!

ففي إحدى القصائد.. نقرأ هذه الشواهد:

"إِرْثُ اليماني ذو جذور

أجدادنا شادوا السدود

آباؤنا ألغوا الحدود

ونحنُ.. هَرّبْنا الخمور"!

وفي قصيدة أخرى.. تبدو الحالة أَطْيَنَ وأَخْزى:

"وطني غَنيٌّ بالوباء

مُستوردٌ مَدَدَ الخمور

ومُصدِّرٌ شَطَطَ النمور

ومُنْتِجٌ... للكُتَباء"!

وفي قصيدة ثالثة.. ندنو من هول الكارثة:

"مجدُ اليماني... تَعرِفُوه

في الليل: (زُطْ).. في الصبحِ: (طُزْ)

في الظهرِ زينوبٌ

و... رُزْ

في العصر: قاتُ

... فُضّ فُوه"!

وقد ترجم الآثاريون الألفاظ الغريبة، الواردة في العجز والصدر.. فبدا أن: "زُطْ"، هو فعل الاحتساء للخمر المقبلة من البحر.. وأن: "طُزْ" هو فعل الاستهتار الذي كاد يُضيع الأرخبيل في البحر.. أما القات فإنه نبات شيطاني ألقى بذلك الشعب إلى البحر!

● «النداء»، العدد ٧١، الأربعاء ٦ سبتمبر ٢٠٠٦

حسـن عبدالـوارث

مخابـرات التسـي تسـي!

كان الخليفة العباسي هارون الرشيد يُسرف في الإنفاق على "العيون" والبصّاصين (أي رجال المخابرات). وذلك ما دعا أحد حكماء عهده ودولته إلى نصحه بالقول: "إنك يا أمير المؤمنين تُذكرني بالراعي الذي خاف على غنمه من الذئاب، فاصطحب كثيرًا من الكلاب، ولكنه اضطر بعد ذلك إلى ذبح نصف قطيعه لإطعامها"!

معظم حكومات العالم تنفق على الأجهزة الاستخبارية والإجراءات الأمنية أموالًا طائلة. يكاد بعض حكومات الدول الفقيرة -وبضمنها الدول العربية والعالمثالثية- ينفق على هذه الأجهزة وتلك الإجراءات أكثر مما ينفق على سلة الخبز وقنينة الدواء والكتاب المدرسي وشرايين الإسفلت!

وبرغم ذلك، فإن هذه الأجهزة، في تلك الدول، يتضح -يومًا إثر آخر- أنها أوهى من

نسيج العنكبوت، وأضعف من جناح بعوضة، والأمثلة على ذلك كثيرة، حتى إن بعضها يغدو "كعب أخيل" بالنسبة لأنظمتها.. فإذا بتلك الأنظمة تُصاب في مقتل أحيانًا، لأن أجهزة استخباراتها -بسبب من التخمة وبالتالي الفساد- وقعت ضحية سهلة لذبابة الـ"تسي تسي"!

وتعد الولايات المتحدة الأمريكية أكثر دول العالم إنفاقًا على الأجهزة والإجراءات الأمنية. غير أن أحداث ١١ سبتمبر -التي داهمتنا أمس الأول ذكراها الخامسة- أثبتت بالدليل الفاجع، أن مليارات الدولارات لم تستطع حماية الدولة الأعظم في العالم من جرثومة الإرهاب. والحال ذاتها تنطبق على دولة أخرى، تعد من أكثر دول العالم إنفاقًا على ترسانتها الأمنية، هي إسرائيل؛ فالعمليات الفدائية والاستشهادية التي زلزلت الشارع السياسي والأمني والشعبي الإسرائيلي من جهة، ونصر "نصر الله" وفرسانه الأشاوس من جهة أخرى، أطاحت بورقة التوت الأمنية عن العورة الإسرائيلية، بالرغم من أن الدولة -في إسرائيل- قائمة أساسًا على النظرية الأمنية مائة بالمائة!

في العقدين الأخيرين -على الأقل- قرأت عشرات الكتب والدراسات الاستراتيجية التي تؤكد فولاذية الترسانة الأمنية الأمريكية.. وهذا ما كانت تُنوِّه به على الدوام مؤلفات "جان مينو" و"مايلز كوبلاند" و"شيريب سبيريدوفيتش" و"وليام غاي كار" وغيرهم كثيرون.. عدا مذكرات "آلن دالاس" وشقيقه "جون فوستر".. ثم الرئيس الأمريكي الأسبق "نيكسون".

غير أن هذه الترسانة التي أطلقت رجالها وحبالها وعيونها وآذانها وأنوفها إلى كل شبر على سطح الكرة الأرضية، وفي فضائها الخارجي أيضًا، غفلت عن حماية محيطها الخاص، فكانت الفاجعة التاريخية التي لن تنساها الذاكرة الأمريكية الجمعية -بل

والذاكرة الدولية- ولو بعد مئات السنين.

وإذا كان القول الشائع "رب ضارة نافعة" ينطبق على حالة ما، فإن أحسن ما تنطبق عليه هو الحالة الأمريكية الراهنة، وما يتصل منها بالعنوان الاستخباري؛ إذ ينبغي -ليس على الأمريكان وحدهم، وإنما على الأسرة الدولية جمعاء- إعادة التفكير في أنجع الطرق والوسائل لتحقيق عوامل السلام والأمن والطمأنينة في الحياة العامة للشعوب.. فقد ثبت -بالبرهان الساطع- أن المخابرات ليست قادرة وحدها على تحقيق ذلك، بل ربما تكون هذه الأجهزة عاملًا معرقلًا لخلق مثل هذه الأجواء المأمولة في حياة الدول والشعوب في القرن الحادي والعشرين، الذي سيشهد قاموسه وفاة كلمة "سرِّي".

● «النداء»، العدد ٧٢، الأربعاء ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

حُكَماء.. وحُكَّام!

منذ زمن سحيق، كان ثمة نزاع -ومايزال- بين أهل الحكمة وأهل الحُكم..

يجنح الطرف الأول فيه إلى معارضة الطرف الآخر، أو محاولة استمالته إلى سبيل الرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة.. فيما ينزع الحكام إلى قمع الحكماء، أو محاولة تدجينهم تحت جناح العرش بالترهيب أو الترغيب أو بالوسيلتين معًا.

وقد أثبتت التجارب -في هذا المضمار- أن الساقطين في شَركَ التدجين، من العلماء والفقهاء والأدباء وأهل الحكمة والفكر والكلام، يغدون وبالًا على الحكام والحكمة معًا. فهم يخدعون أهل الحكم بقلب حقائق الأحوال، وهذا يتعارض مع صميم رسالتهم. وهم يحولون دون استبصارهم بمجريات الأمور وأهلها، وذلك

رسائل من زمن آتٍ

يناقــض طبيعة واجبهم. وهم يحجبون النصيحــة ويُزيِّفون المعلومة، بالنفاق القائم علــى هلع أو بالزلفى النابعة من طمع، ثم إنهم يعمدون إلى تضخيم الذات –وربما تأليه الفرد– في شــخص الحاكم، وفي ذلك هلاك البلاط وزوال الســيادة، بل فيه انهيار الأمم واندحار الدول!

إن العلم –على أيدي هؤلاء "العلماء"– يصير نقمة، لا نعمة.. نقمة على الجماهير وعلى الحكام معًا.. وهو ما شهده عصر الانحطاط في التاريخ الإسلامي.

قال الشاعر العربي القديم:

"قُلْ للأمير نصيحةً

لا تَرْكَنَنّ إلى فقيه

إن الفقيه إذا أتى

أبوابكم، لا خيرَ فيه"

فجوهــرة الحكمة لا تركع عند أقدام الحاكم.. إنما العكس هو الصحيح.. فهذه الجوهــرة هي أغلى وأعلــى –بما لا يُعَد ولا يُحَد– مــن كل تيجان الملوك وجواهر الأمراء.

وقد جاء رجل من العامة إلى أحد رجال الفقه وهو واقف عند باب أحد الحكام، ينتظر الإذن له بالدخول عليه.

وحاول الرجل استفتاء الفقيه في مسألة أستبهم عليه أمرها.. فزجره الفقيه: أو هذا موضع المسألة؟.. فردّ عليه الرجل: أو هذا موضع الفقيه؟!

إن أهل العلم والأدب والفكر يحطُّون من قدر ما يحملونه من كنوز الحكمة عندما يحطــون من قدر ذواتهم لــدى ارباب الحكم. فلا يوجد –ولــن يوجد البتة– حاكم يحتــرم حكيمًا، أظهر آيات التزلُّف والنفــاق والمهانة، وأخفى آيات الحق والحقيقة والشــجاعة الأدبية، والحكمة من دون اســتخدام صحيح هي سقط متاع أو قبض ريح.

فهل يعي ويتّعظ ويرعوي بعض "علمائنا"؟!

● «النداء»، العدد ٧٣، الأربعاء ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٦

رسائل من زمن آتٍ

حسن عبدالوارث

مبارك لـ"النداء" مهنيتها

حازت صحيفة "النداء" المستقلة على المرتبة الأولى من بين الصحف الأهلية الأكثر استقلالاً في تغطيتها للحملة الصحفية الرئاسية والمحلية، وفقًا للتقرير التقييمي الذي أعده مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان بالتعاون مع منظمة IMS الدنماركية، لم يمثل ذلك لنا مفاجأة. فصحيفة "النداء" والقائمون عليها، وعلى رأسهم الزميل العزيز سامي غالب، عملوا منذ الوهلة الأولى على أن تكون الصحيفة تعمل بمهنية وحرفية جعلت الجميع يتفاءلون بإمكانية وجود صحافة أهلية تشتغل بحرفية وتقدس الحقيقة وتحترم الجمهور بلا حدود. كما أنها الصحيفة اليمنية الوحيدة التي أوجدت

رسائل من زمن آتٍ

لنفســـها وللعاملين فيها ميثاق شـــرف يعمل الجميع وفقه. وهذه مبادرة تحســـب للصحيفة، وتعكس جديتها في العمل بمهنية واحترامها لقرائها.

الصحافة اليمنية المســـتقلة في كثير من الأحيان لا تمتلك من الاستقلالية سوى الاســـم، وهي، للأســـف، تجدها تتلون كالحرباء تارة هنا وتـــارة هناك، ما أفقدها مصداقيتهـــا، وجعل النـــاس يفقدون الأمل في أن يجـــدوا صحيفة تحترم آراءهم وأفكارهم، وتخاطبهم بالحقيقة وبالمنطق لا بما يحب هذا الحزب أو هذا الشـــخص أو غيره. الكثير من هذه الصحف وللأســـف الشـــديد تحاول أن تســـتغفل القارئ وتؤطـــره كالأبله الذي لا يقدر أن يميز بين الغث والســـمين. وهو على العكس واعٍ ويدرك كيف يختار ما يقرأ. أعتقد أن كثيرًا من هذا الكم الهائل من الصحف تذهب للأكشاك وتعود كما هي لم يلمسها أحد سوى صاحب الكشك. للأسف مثل هكذا نوع من الصحافة أساء لمهنة الصحافة، وصوّر الصحفيين كالأبواق.

ظهـــور صحيفة "النداء" وصحف أخـــرى قليلة أعاد الأمل فـــي أن يكون هناك صحافة مســـتقلة تحترم المهنية، ولا يهمها شيء ســـوى الحقيقة... الحقيقة فقط، وحق الناس في المعرفة كحق أساسي وجوهري من حقوق الإنسان.

لكن للأسف نجد أن القطاع الخاص لا يشجع ظهور مثل هذا النوع من الصحف، ولا يكترث بالإعلان فيها. إذ تجد صحفًا لا توزع إلا أعدادًا قليلة، وتجدها مرصعة بالإعلانات تجعلك تشـــعر للوهلة الأولى أنها الصحيفة الأكثر انتشارًا في البلاد. القطاع الخاص يعطي إعلاناته في كثير من الأوقات ليس كجزء من سياسة إعلانية

مبنية على دراســة علمية لأهم وأكثر الصحف انتشــارًا، بل هو نوع من الرشــوة باســم الإعلان والخضوع للابتزاز الرخيــص، ولذا يصبح الهدف من الإعلان هو المحاباة.

في الأخير، أبارك للزميل العزيز ســامي غالب ولطاقــم "النداء" حصولهم على المركز الأول وفقًا لهذا التقييم المبني على دراســة واقعية. وأود أن يكون هذا دافعًا لطاقم الصحيفة للعمل أكثر وأكثر من أجل المهنية والحقيقة.

● «النداء»، العدد ٧٤، الأربعاء ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

حُرفة الحِرفة!

دهش أحدهم لمعرفته أن كاتبًا كبيرًا يسكن بيتًا حقيرًا..

وحين أبدى دهشته للكاتب، أجابه الأخير:

– سيدي الفاضل.. إن الكلام رخيص... لكن مواد البناء غالية الثمن!

وقد اقترن الأدب –والكتابة إجمالًا– بالحُرفة، أي الفقر والفاقة والعوز.. وفي العامية نقولها: "حِراف".. أي إفلاس الجيب أو ضيق ذات اليد..

فلم تقترن حِرفة بحُرفة، كمهنة الكتابة!.. ولم يُعرف عن ماهنين حالة الضنك في العيش، كالتي عُرف بها أهل القلم!

وهذا المشهد ينطبق على الغالب الأعم من هؤلاء، إلّا من رحم ربي، ممّن رزقهم الله من باب آخر كالورث أو اللُقْية، أو من قرّبهم الحاكم إليه، أو من

ألقـت بهـم دعوة الوالديـن في مهب الدولار، أو مـن زاولوا -إلى جـوار الكتابة- مهنةً أخرى.. أو "شغلة" ما!

ومن الصور المُجسِّـدة للعنة الكتابة، يحكي الفيلسـوف الإسباني "أونا موفو" واقعةً عن صديقه الطبيب..

فقـد كان هـذا الطبيب بارعًا في مهنته، وكان لـه طابور طويل من "الزبائن".. غير انه قرّر في لحظة إبليسية أن يزاول الكتابة، فراح يكتب القصة القصيرة التي لم يجد القراء فيها أية متعة..

ولهذا السـبب امتنع مرضاه عن ارتياد عيادته، فبارت مهنته بوارًا كاسـحًا، وكانت نهايته انهيارًا فادحًا!

ويومًا فيومًا يصادفني زميل قديم ترك حِرفة الصحافة إلى سواها.. فإذا به قد "زَبَط" الفقر وهجرَ "الحِراف"، وصار من حملة دفتر الشيكات!.. فيما لا نزال من حملة الأقلام... والأحلام.. والآلام!

وسألني صديق مرةً في هذا السياق:

- لو قُدِّر لك أن تعود إلى نقطة البداية، فأية حرفة كنت ستختار؟

ووجدتُني أُصعق من إدراكي أنني كنت سأختار الحرفة ذاتها!

الحكومة تقول..

أنا والحكومة حبايب وأكثر من السـمن على العسـل.. فرئيسها صديقي.. وأكثر من نصف أعضائها أصدقاء وزملاء أعزاء..

غير أن القريحة، أحيانًا، تتجاوز حدود العلاقات الطيبة إلى تخوم المحاذير المرعبة..
وأعرف أن نشر هذه الأرجوزة لن يُفسد للودّ قضية..

الحكومة تقول:
كُلْ فَلافِلْ وفُول
إنّما اللحمُ ضار
وجميعُ الخُضار
مُتْلِفٌ للعُقول.
ثُمّ سِعْرُ الدجاج
قاطعٌ كالزجاج
فاقَ سعرَ العُجول.
واحْترسْ، فالسّمَك
رُبّما سَمّمَك
واجْتَنِبْها البُقول.
واحْذر البَوْدَرا
بالمنايا سَرَى
في جميعِ الحُقول!
والحكومة تُعِيْد:
جُعْ تَصِحْ كالحديد

إنّما "الفَيْتَمين"
والفَصِيلُ السّمين
في ثنايا العَصِيد.
بَيْدَ أنّ المَرَق
من طعامِ السّرَق
كُنْ نظيفَ الرّصِيد.
لا تُفَضِّلْ على
فُوْلِنا ذا الحَلا
واتْرُكَنْ كلّ صَيد.
كلُّ جوعٍ جليل
كلُّ صبرٍ جميل
ذاكَ بيتُ القَصيد!

● «النـداء»، العـدد ٧٩، الأربعـاء ١٥ نوفمبـر ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

سفائن طارق وقيصر

.. أبحر القائد العربي الفذ طارق بن زياد بجنوده إلى بلاد الأندلس.. وقبل أن يرتاح الجند من وعثاء السفر على الشاطئ الأندلسي الساحر، فوجئوا بقائدهم يشعل النار في سفائنهم.. وما هي إلا هُنيهات، حتى ردّدت الآفاق قوله التاريخي الشهير: "البحر من ورائكم، والعدو من أمامكم...".

فكان هذا الموقف الحارق السبب الخارق في الانتصار الساحق لجُند طارق على العدو المارق..

.. يوليوس قيصر فعلها أيضًا.. فإثْر أن حطّ رحاله مع رجاله على الشاطئ الإنجليزي.. خشي أن يتقهقر جيشه أو تثلم عزيمته.. فما كان منه إلّا أن أحرق جميع السفن التي قدمت بهم.. فوجد الرجال أن جميع السبُل التي تربطهم بالقارة الأوروبية قد انقطعت. ولذا، حين وجدوا أنفسهم محاصرين في بلاد الأعداء، لم تكن أمامهم غير

طريق واحدة، هي التقدم نحو الاستبسال حتى النصر.

.. إن التراجع عن الأهداف الكبرى -في الوعي والوجدان قبل ساحة الميدان- هي الآفة الفادحة التي كانت سببًا في تصدُّع كثير من الدول وتمزُّق كثير من الشعوب وتبدُّد كثير من الحضارات.

فإذا ما أرادت أية أمة أن تتقدم وتنتصر، أو تتطور وتزدهر، فما عليها سوى أن تُنهي وراءها كل أمل للقهقرى..

وإذا ما أراد زعيم أن يقود شعبه ودولته نحو السؤدد العظيم، فعليه أن يحرق كل الرايات السوداء والزوارق الكأداء التي من شأنها أن تكون عاملًا للتخاذل أو سببًا للانكسار..

فمثل هذا الفعل يعكس الإيمان بأن الماضي مرحلة غير قابلة لإعادة الاستهلاك أو الإنتاج أو التسويق.. وأن المستقبل -فقط- عنوان المرحلة الجديدة.. فهذا ما أكده طارق بن زياد، وهذا ما أثبته يوليوس قيصر.

● «النداء»، العدد ٨٠، الأربعاء ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

الله

.. تتجلّى أعظم قدرات الله -وقدراته، جلّ جلاله، جليلة وعظيمة بالإجمال والمطلق- في أنه وحده:

الخالق.. الرازق.. الوارث..

فالله هو الخالق.. لا الدولة، ولا القبائل أو الكتائب..

والله هو الرازق.. لا الخزانة، ولا الجمارك أو الضرائب..

والله هو الوارث.. لا الحكومة، ولا الأصدقاء أو الأقارب..

فهلا أدركنا سُمو الدلالة في مكنون هذه الأسماء!

لا شك في أن بلوغنا هذا الإدراك سيُنجينا، لا محالة، من الوقوع في مهلكة الخوف والجبن والذل والهوان والخنوع والاستكانة لبشر، مهما طغى وتجبّر، أو بغى وتكبّر.

الله.. ما أعظم قدراتك! وإنْ عميتْ عنها قلوبنا التي في الصدور.

وما أحقر "قدراتنا".. وإنْ عظمتْ في نفوسنا الآيلة إلى القبور.

...

لا يمكن، البتة، الوصول إلى الله عبر محطة أو واسطة بشرية. عنوان الله مجهول لدى مكاتب البريد والفاكس والتلكس والهاتف الساخن والنقال.

الطريق إلى الله سالكة من منفذ واحد فقط- ليس بريًا ولا بحريًا أو جويًا- يمر فينا.. إلينا.

الله.. سألتُ عنك الأشياء والأحياء، أشارت كلها إليك.. إلى داخلي.

وقد كنت أعرف أن النداء إليك يمر، على الدوام، بموجة ضالة في الأثير.. بَيْدَ أنني لم أعرف قط -حتى اللحظة- لماذا ضَلّت، والنور كثير!

الله.. عريان -أنا- إلى ثوبٍ من نسيج سترك...

جوعان.. إلى حبّة من نخيل تمرك..

عطشان.. إلى لبنك وعسلك وخمرك..

الله.. تُرى هل يطولُ بي الرحيل إلى سِرّك؟!

...

الله.. حُبٌ يتجاوز لهج اللسان وحركات الأنامل وملامح الوجه.. إلى ما وراء مفردات اللغة وقانون الحركة ولامُتناهية الوجود.

ثمّة كُوّة في دَوْح الروح تدعوني إليك، ذات صلاة توحُد، توجُد حلُول.. وثمة بابٌ

موصـد دونـي، يحول.. اللهم نعمتـك، لا نقمتك.. رحمتك، لا غضبتـك.. فالنور حقلٌ إلى ذبول.. والنار في صدري تصول.

الله.. كيف تَوّجَ الضالون أنفسهم ممثلين لسلطتك على الأرض!... وكيف عَيَنَّ الغافلون ألسنتهم ناطقة بلسان حالك في وكالات الأنباء ومنابر الخطابة وقارعة الطريق؟!.. وكيف أوفدوا "الأمراء" والسفراء، وشكّلوا الفرق والجماعات، وأقاموا البرلمانات والحكومات، تحكم باسـمك، من دون رسـمك!.. وكيف جعلوا منك -رحماك- (Trade Mark) خاصة بسوقهم السوداء!

اللـه.. تاهـت عنـا الحقيقة وتاه الحق.. وأنت الحق.. الـذي لا يَضِل ولا يُضَل، لو في شَق!

● «النـداء»، العـدد ٨١، الأربعـاء ٢٩ نوفمبـر ٢٠٠٦

حسـن عبدالـوارث

السـيدة - السـيدا!

.. يسـتطيع المواطن الأمريكي أن يفخر بأنه ينتمي إلى بلد تسود فيه الحريات، بـدءًا من حريـة التعبير، مـرورًا بحرية الإبداع، وانتهاء بحرية الشذوذ!

ويستطيع أن يفخر أيضًا بأنه ينتمي إلى بلد تُصان فيـه الحقوق، بدءًا من حق العمل، مرورًا بحق الملكيّة، وانتهاء بحق الإجهاض!

كما يسـتطيع أن يفخر، ويفخـر، ويفخر، بأنه ينتمي إلى بلد يتسـاوى فيـه جميع المواطنين أمام منصة القضاء، وتحت سـقيفة المعبد، وداخل مدرسة المرور!

بيـد أن هـذا المواطن -الأميركي نفسـه- يسـتطيع أن يخجل، أيضًا، لأنه ينتمي إلى بلد قامت دولته على استراتيجية إبادة السـكان الأصليـين، وأقدمت حكوماته علـى تحقير رعاياها الزنوج والآسـيويين

رسائل من زمن آتٍ

والجنوب أميركيين والعرب والمسلمين، في مقابل توقير مواطنيها الأوروبيين واليهود! مثلما دأبت أجهزته الاستخبارية ومؤسساته العسكرية على إقلاق أمن شعوب وتهديد سيادة دول وزعزعة استقرار مجتمعات في أربعة أرباع الكون، وتفقيس بيضة الإرهاب وإشعال فتيل الحرب وتسعير أجواء الفتنة في معظم أرجاء الكوكب الأرضي!

يستطيع المواطن الأميركي أن يفخر بأنه مواطن عالمي (أو عولمي) من الدرجة فوق الأولى، بسيادة كلمة بلده، عبر قوتها المالية وجبروتها العسكري ونفوذها السياسي والإعلامي، وبانتشار السلعة والعملة الأميركيتين على نحو بالغ السعة في شتى بقاع البيضة الأرضية!

لكنه يستطيع أيضًا أن يخجل لأن جزءًا كبيرًا من عائد تلك السلعة يصنع جزءًا كبيرًا من المنتوج البشري والمؤسسي العالمي في السوق "الأخلاقية" السوداء.. ولأن حصة ضخمة من الدولارات المطبوعة سنويًا في دار صك "العم سام" تعود على خزانته العامة، نظير بيع أكبر نسبة من الإنتاج العالمي في أسواق السلاح والوباء على السواء!

إن أكثر ما يثير قرفي أن يتشدق بعض المثقفين "المتأمركين" بالإطناب على الثقافة والحضارة الأميركية، التي لا تتجاوز عراقتها قرونًا خمسة! والتي نتجت عن خليط عجيب وهجين غريب من الثقافات الأخرى: جنوبية وشمالية، على نحو بالغ التشوه، تحجبه ترسانة الإنجازات الضخمة في التقنية الحديثة التي تقابلها ترسانة إنجازات أضخم في الأخلاق المُنحلّة الأكثر حداثة!

حقًا، إن أميركا هي "سيدة" العالم بلا منازع... لكن الأحق أنها أيضًا "سيدا" العالم.

● «النداء»، العدد ٨٢، الأربعاء ٦ ديسمبر ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

عمى أديان لا ألوان!

■ في أواخر العام ٢٠٠٢م وجّه الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش خطابًا إلى أمة الإسلام، في العالم عمومًا وداخل الولايات المتحدة بالذات، بمناسبة عيد الفطر المبارك، وذلك خلال زيارته للمركز الإسلامي في واشنطن.

يومها، اعتقدنا أن الإدارة الأميركية قد أدركت -ولو متأخرًا- مدى الهوة الشاسعة والفجوة الواسعة بينها والعالم الإسلامي، وأنها -بالتالي- أدركت أسباب حدوث هذه الهوة والعوامل التي أدت إلى توسيعها وتعميقها، طوال عقود وعهود.. أي أنها أدركت أن سياستها العرجاء ودبلوماسيتها العوجاء في منطقة الشرق الأوسط وفي غيرها من بلاد العرب

والمسلمين، قد أضرّت بمصالح الشعب الأميركي نفسه، وإنما بالقدر ذاته الذي أضر بمصالح العرب والمسلمين جميعًا، وأنها تتصادم مع رغبات وطموحات الأميركان قبل تصادمها مع رغبات وطموحات غيرهم من الشعوب، والعرب والمسلمين بالذات.

إن الممارسات العنجهية التي تقترفها هذه الإدارة في فلسطين والعراق وغيرهما، باتت تصب الزيت على نار المشاعر التي ما انفكت تتأجج في صدور أبناء الأمة العربية والإسلامية، بل وتتعاظم يومًا إثر يوم، حتى غدت كتلة هائلة من الحقد على كل ما هو أميركي، بعد أن صارت صورة أميركا في الوعي والوجدان العربي والإسلامي مرادفة للكيان الصهيوني.

كما أن التصريحات التي أطلقتها مصادر سياسية مسؤولة، أو قريبة من «البيت الأسود» وحملت عداء سافرًا ضد الإسلام والمسلمين، أدت إلى استشراء حالة السخط الجارف لدى نطاق واسع من المسلمين، ومسلمي أميركا خصوصًا، تجاه الإدارة الأميركية وحلفائها في العالم.. وهو ما يهدد المصالح الأميركية -شعبًا وإدارة- في جزء واسع من البيضة الأرضية التي يرغب الأميركان في «عولمتها» على الطريقة الأميركية الخاصة، التي تعني -بقدر كبير من الدقة- «أمركة» العالم. فكيف يمكن أن يتسنى لهم تحقيق هذه الاستراتيجية الشائكة في حقل ألغام هائل، وهي ألغام لا يحتويها التراب فقط، إنما تضمها القلوب والعقول وتتداولها جيلًا إثر جيل، كما تداولت القرآن والإنجيل؟!

لذا، ليس أمام أميركا ســـوى طريق واحدة لتحوز رضا الملايين الغفيرة من أمة «لا إلـــه إلا الله».. وهي طريق معروفة تمامًا لديها وواضحة جدًا أمامها، لكنها.. لا تعمى الأبصار!

إن البصر قد يصاب بعمى ألوان.. غير أن البصيرة الأميركية قد أصيبت بعمى أديان..! وهو، لعمري، أخطر أنواع العمى، لأنه يفقد المصاب به أية قدرة على رؤية الله.. وهنا ذروة المأساة!

● «النـداء»، العـدد ٨٣، الأربعـاء ١٣ ديسـمبر ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

كان زمان..

فقد الزمان أو يكاد، خصائصه الرومانسية.. وغابت، أو تكاد، قصيدة الغزل وأشعار العاطفة الجياشة. وقد بات إيقاع الزمان وتوقيع المكان وملامح البيئة وتقاسيم الوعي والوجدان -كلها- متكئة على تضاريس الواقع الأسمنتي ونواميس العقل الإلكتروني.

فهل أضر الموبايل والإنترنت والـ(سي. دي) والـ(دي. في. دي)، وغيرها من منتوجات الثورة الاتصالية والطفرة التكنولوجية، بوردة الحب وأقحوانة الشعر وفيروزة القصيدة الغزلية الحارة كالبهارات الآسيوية والتيارات الاستوائية؟!

لم يعد عمر بن أبي ربيعة مجرد ذكرى جميلة ومصدر حنين أليم، إنما نزار قباني أيضًا. وقد صار التيار الرومانسي في حركة الشعر العربي يرقد في "خزيمة عبقر" منذ الربع الأخير من القرن العشرين على أقل تقدير،

وإن ظلت ثمة أنفاس تفتقر إلى قدر كبير من الحرارة المطلوبة لتدفق الدماء في شرايين الحياة لدى هذا الغرض الشعري الرفيع.

حتى قصائد الحب الإلهي لم يعد لها وجود، بعد أن طالتها "الفتاوى" الجاهلية الجديدة، فوصفتها حينًا بالبدعة، وحينًا قذفتها بالزندقة وبالكفر أيضًا.. وقد صار ابن حزم مطلوبًا للمثول قبالة أعواد المشانق!

لهذا كان مهمًا جدًا وضروريًا للغاية ذلك الإصدار الذي أطلقته سلسلة "كتاب العربي" الفصلية الكويتية تحت عنوان "قوافي الحب والشجن"، وقدم له الناقد الفذ د. عبدالقادر القط، وضمت باقة من أروع قطوف التيار الرومانسي في الإبداع الشعري العربي الحديث والمعاصر.

إنها دعوة للقراءة، ودعوة للعودة إلى كنف القوافي المخملية والخدود الوردية.

● «النداء»، العدد ٨٤، الأربعاء ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦

حسن عبدالوارث

Police

قبل بضع سنوات، شكا أحد زملائنا -وهو يملك إحدى الصحف الصادرة في صنعاء- من سوء توزيع صحيفته، أو بالأصح عدم إقبال القراء عليها. فنصحه زميل آخر بأن يلصق في كل نسخة من الجريدة ورقة نقدية فئة المائة ريال!

والحكاية واقعية وصحيحة بنسبة مائة في المائة.

والحق إن مشاكل الصحافة اليمنية كثيرة، لبعضها جامع مشترك مع مشاكل الصحافة في أي بلد في العالم، فيما لبعضها الآخر خصوصية يمانية خالصة.

من بين هذه المشاكل ما هو ذو طابع تقني أو مهني، أو ما له مسلك مالي، أو ما يتصف بسوء الإدارة، وهو يكاد يكون السائد..

عدا المشـاكل ذات الشـق التشريعي، لا سيما في ظل سريان عقوبة حبس الصحافي في قضايا الرأي (ولا أقصد قضايا النشر)، أو في ظل حظر الملكية الخاصة لوسائل الإعلام المرئيـة والمسـموعة، بالرغم من أن القاعدة -في هذا المضمـار- هي الإباحة في ظل عدم توافر نص قانوني باتّ يؤكد الحظر!

ومن مشاكل الصحافة في اليمن اختلاط الحابل بالنابل في مزاولة المهنة، حتى نكاد نكون المنطقة الوحيدة في العالم التي يسـتطيع فيها الحاصل على شـهادة التحرر من الأمية أن يشـغل منصب رئيس التحرير، وربما رئيس مجلس إدارة مؤسسـة صحافية أو إعلامية أيضًا!

ونقابة الصحافيين في هذا البلد لا سلطة قانونية لها على المهنة وماهنيها، والناس ينضمـون إلى النقابة إثـر مزاولتهم المهنة، وليس العكس. وينحصر دور النقابة -تبعًا لذلـك- فـي إصدار بيانات الإدانة والنعي، وعقد جلسـات النقاش عن قضايا الحرية في موزمبيق، ومؤتمرات التضامن مع الصحافيين في بوركينا فاسو!

وإذا صـدرت صحيفة تنتهك عرض السياسـات القائمة في دولة شـقيقة أو صديقة، تهتـز الأرض تحـت أقدامنا حتى تخـرج أثقالها. أما إذا صـدرت صحيفة تنتهك عرض إحدى الزميلات المحصنات، فالأمر مجرد وجهة نظر!

وفي معظم بلاد الدنيا، ثمة "بوليس" للآداب، يقوم بضبط إيقاع الحشمة في المجتمع، وقمع كل قول أو فعل خادش للحياء العام، وهو ينشـط -أكثر ما ينشـط- في المواخير والملاهي وفي أوساط بنات الهوى.

فـي بلادنـا، نحن في حاجة ماسّـة إلى هكـذا "بوليس"، غيـر أن وظيفته -في حالنا-

ستكون مغايرة، نشاطه الحقيقي سيكون محصورًا في بعض الأوساط الصحافية التي يصدر عنها، في غير حين وحال ما هو أقبح مما يصدر عن عُلَب الليل في البلاد الأخرى!

إما هذا، وإما أن تُحال مهام وزارة الإعلام إلى وزارة الداخلية، فيما تُحال وظائف نقابة الصحافيين إلى جهاز الأمن السياسي أو جهاز الأمن القومي!

وأستغفر الله لي وللقارئ الكريم، ولأُمّة محمد وعيسى وموسى أجمعين!

● «النداء»، العدد ٨٦، الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠٧

حسن عبدالوارث

المعرفة الضائعة

سبق لي الخوض في هذه القضية.. وهي تستحق الكتابة عنها والحديث حولها وتناولها باستفاضة على مدار الساعة..

نحن في حاجة ماسة إلى تعليم مادة حقوق الإنسان.. ويبدأ تعلمها من سن الرابعة إلى سن الرابعة والأربعين، على سبيل المثال..

فهذه المادة المعرفية هي الوحيدة الضائعة عن منهاج وزارة التربية والتعليم والحلقة الوحيدة المفقودة في سلسلة اهتمامات أهل الحل والعقد وصناع القرار المتصل بحياة الجيل ومصير النشء..

فالحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، مفاهيم مجردة ومعارف مطلقة، لن تتجسد على أرض الواقع المادي وصعيد الممارسة العلمية، بنصوص دستورية أو قرارات جمهورية.. إنما بترسيخها

في ثنايا الوعي وتلافيف الوجدان على نحو جمعي..

ولأن معظم الأجيال المتعاقبة -في هذا الوطن- عاشت عهودًا من التوتاليتارية وعقودًا من الديكتاتورية، أكثر من تمتعها بفترة الوحدة والتعددية محدودة الأمد والأثر، فإن الفرصة الوحيدة الباقية لنا -في هذا المضمار- تكمن في الزهور والسنابل، أي فلذات أكبادنا..

وقد كنا -ذات يوم قريب- سمعنا عن "برلمان الأطفال".. ثم لم نعد نسمع عنه شيئًا، إلّا موسميًا وعلى عجل.. وآخر نبأ سمعناه عنه هو سقوط أحد أعضائه مضرجًا بدمائه جراء عيار ناري طائش أو مجنون!

أي أن "برلمان الأطفال" هذا، لم يكن في الأصل سوى "بروباجندا" سياسية أو إعلامية، لا علاقة لها البتة بأية استراتيجية منهاجية في سياق نشر وترسيخ التربية الديمقراطية والثقافة الحقوقية لدى النشء.

ذات يوم، قال أحد الحكماء: "من المفارقات العجيبة أن يكون أول ما يهتم به المرء هو أن يعلم الطفل الكلام.. ثم بعد ذلك يقضي العمر كله ليعلمه السكوت"!

فها نحن مازلنا نصرخ -بالحق وبالباطل- في وجوه أطفالنا كي يصمتوا، حتى لو كان كلامهم همسًا.

ويبدو أن أزمنة القهر والقمع والمطاردة والمصادرة التي عاشها المرء في ظل عهود الاحتلال والإمامة ثم التشطير، قد غرست فيه بذرة ديكتاتورية مقيتة، عكست عقدة الاضطهاد لديه تجاه أطفاله، بما يشبه حالة كالحة من البارانويا"..

ولذا يقال إن السجين السابق يغدو أكثر جورًا وجبروتًا وبطشًا في حال أصبح سجانًا لاحقًا!

إن السبيل الوحيد لبناء مجتمع ديمقراطي حر، ودولة مؤسسات دستورية حقة، هو بنشْر وترسيخ أصول التربية والثقافة والوعي الحقوقي في مضمار مفاهيم وقيم ومبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

ولأن الأجيال القائمة اليوم غير مؤهلة -عمليًا- للاضطلاع بدور الحاضن السليم لبذرة هذه التربية وشتلة تلك الثقافة.. فإن الأمل الحقيقي لتحقيق هذه الغاية الاستراتيجية الكبرى يتمثل في الأطفال.. والأطفال فقط.

فهل نعد العدة لتحقيق هذا الأمل المنشود؟!

● «النداء»، العدد ٨٧، الأربعاء ٢٤ يناير ٢٠٠٧

حسن عبدالوارث

الصخرة تتدحرج إلى أعلى..

الصخرة تتدحرج إلى أعلى
مائة عدد ومائة
100 من التحرير والإدارة والمطبوعات
المسؤولية مضاعفة

مائة عدد من الصحيفة... ماذا يعني للناشر أو لرئيس التحرير؟... وماذا يعني للقارئ؟ وبعد مائة عدد.. كيف تقرأ "النداء" علاقتها متعددة الأوجه بالقراء، ومكانتها في الشارع، أو موقعها في الساحة الصحافية والثقافية والسياسية؟

وغيرها من الأسئلة الصعبة العذبة التي سيكون لزامًا على زميلي العزيز سامي غالب وشركائه في هذه التجربة الشائكة الشائقة، أن يجيبوا عليها..

وهي إجابة -أو إجابات- تدخل في نطاق الصعوبة الجمة، إن لم تكن الاستحالة المؤكدة.. لا سيما في ظل خارطة مشهدية للصحافة اليمنية أكثر تعقيدًا من خارطة الطريق إياها، بل أكثر ازدحامًا بالألغام والأشواك والأشراك!

رسائل من زمن آتٍ

***

■ سألني غير صديق زميل وقارئ لماذا "النداء" بالذات؟!.. يقصدون: لماذا اخترت الكتابة في هذه الصحيفة -باستثناء "الوحدة" التي أرأس تحريرها بالطبع- دون سواها من الصحف، رسمية وأهلية وحزبية؟!

والحق أن كتابتي فيها جاءت استجابة متواضعة لدعوة كريمة من صاحبها وصاحبي.. لكن لو لم يَدْعُني سامي أصلًا، ربما كنت أقدمتُ على ذلك الفعل من تلقاء نفسي ذات يوم.. ذلك أنني أحترم حد التقدير.. أبجل حد التوقير، وأجل حتى التقديس كل صحيفة تحترم وتبجل وتجل الأصول العليا لمهنة الصحافة.

وهي الصحيفة التي لا تصلي وراء مسيلمة.. ولا تأكل بثدييها ولا فخذيها.. ولا تأخذ باليسرى ما تستحي أن تدري به اليمنى.. ولا توظف القلم لحقارات النفس الأمّارة بالسوء.. ولا تبتز.. ولا تهتز.. ولا تعتز بالإثم... ولا تسقط في سوق متاع الكلام أو تسطيح الأفكار أو تشويه الرؤى.. صحيفة تعرف جيدًا الفرق بين التفاحة التي سقطت من الشجرة على نيوتن.. والتفاحة التي سقطت من يد حواء على آدم.. وتعرف جيدًا أن ألوان الطيف السبعة إذا امتزجت ببعضها أسفرت عن لون واحد هو الأبيض..

صحيفة عابرة للقارات، والحارات، والأحزاب، والحكومات، والطوائف، والمذاهب، والأحقاد، والأمراض، والأقلام، والأحلام، والقيود، والحدود، والجبال، والحبال، والخيوط، والخطوط.

صحيفة تعرف إلهًا واحدًا في السماء.. ووطنًا واحدًا على الأرض!

وأشهد أن "النداء" أنموذج بهذه الصحيفة التي أصف، والتي أعرف، وأحب أن يكون

لي اسم فيها ووشم عليها ولجوء إليها في ليالي الخريف مثلما في صباحات الربيع!

***

■ في عيدها العددي المائة..

لا أملك ما أهديه إليها، وإلى صاحبي وصاحبها، سوى الدعاء الصادق بالتقدم والنجاح والظفر المستمر..

ففي مجتمع كهذا، أن تصدر صحيفة فقيرة من سلطة أو جاه أو مال، يعني أن تنطح رأسك بصخرة سيزيف... وأن تستمر في إصدارها يعني أن تحمل هذه الصخرة على ظهرك صعودًا في جبل الأولمب..

"وسوى الروم خلف ظهرك رومُ

فعلى أيّ جانبيك تميلُ"!

هذا قدرك يا سامي... فإما أن تصمد بصخرتك، فكرتك، كلمتك.. وإما أن تغلق أبواب الدكان، وترمي مفاتيحه في بحر الظلمات.. وتنسى حاجة اسمها صحافة، في مجتمع يحتقر مهنة الصحافة.. وله الحق في ذلك، بعد أن بات بعض أبرز شاغليها من معدومي الموهبة ومعدومي الرجولة على السواء.

● «النداء»، العدد ١٠٠، الأربعاء ٢٥ أبريل ٢٠٠٧

المحتوى

المحتوى

حسن عبدالوارث.. كتابة النار الضحوكة ٣

صندوق الدنيا ١٥

لا لحرية القول والبول.. نعم لحرية «الجول»! ٢٠

أدباء... لكن جبناء! ٢٣

حكايتي مع.. الملائكة ٢٦

أصدقائي الذين أكلوا الحمير والخنازير! ٢٩

فأرة.. مصيدة وجبن! ٣٢

حديقة الحيوان اليمنية! ٣٦

هجرة «أبو يمن».. وجزاء «سنمار»! ٤٢

أحزاب الأنابيب! ٤٥

طُز. دُوت. كُوم! ٤٨

صباح البؤس.. مساء النكد! ٥١

الركن الرابع ٥٤

لستَ سليلَ خطيئتهم... ..... ٥٧

دولة الطيف! ٦٠

حيَّ على خير الوطن.. ..... ٦٣

الميكروفون.. أفيون الشعب! ٦٥

المحتوى

أَعراب.. وإِعراب.. وبينهما حكومة! ٦٨
الوشاح الجديد! ٧٠
يا عزيزي.. كلنا عملاء! ٧٣
طريق الخمور! ٧٧
مخابرات التسي تسي! ٨٠
حُكَماء.. وحُكّام! ٨٣
مبارك لـ"النداء" مهنيتها ٨٦
حُرفة الحِرفة! ٨٩
سفائن طارق وقيصر ٩٣
الله ٩٥
السيدة – السيدا! ٩٨
عمى أديان لا ألوان! ١٠٠
كان زمان.. ..... ١٠٣
Police ١٠٥
المعرفة الضائعة ١٠٨
الصخرة تتدحرج إلى أعلى.. ..... ١١١